رسم المصحف الشريف
في كتاب "تاريخ القرآن" لنولدكه" وتلامذته
دراسة نقدية

بقلم

د. جمعة حمدي سالم
المدرس بقسم القراءات
بكلية القرآن الكريم بطنطا

١٤٤٠هـ = ٢٠١٨ م

ملخص البحث

إن كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني تيودور نولدكه بقضايا الرسم العثماني والتي تعرض لها المستشرق وتلامذته من نواحي متعددة وكانت نظرتهم إلىٰ رسم المصحف الشريف كتلك النظرة السابقة إلىٰ القرآن الكريم حيث رأوا في رسمه وكتابته الخلل والاضطراب فأثاروا استيائهم دون استناد إلىٰ أدلة حتمية قطعية وقد أثبتنا في هذا البحث كذب ماادعوه تجاه كتابنا المقدس بادلة ثابتة دامغة واضحة دون ريب .

فجاء البحث شاملا ادعاءاتهم الباطلة والرد عليها ردا علميا دقيقا .

وهذا دأب المستشرقين دائما يرمون سهام تجاه القرآن الكريم ورسمه محاولين زعزعة استقرار المسلمين وبث الاضطراب في نفوسهم نحو كتاب الله عز وجل لكن أنىٰ لهم ذلك ، فقد قَيَّض الله لكتابه من يقوم بالدفاع عنه في كل زمان ومكان .

جعلنا الله مِمَّن يدافع عن كتابه الكريم – آمين .

Research Summary
The book of the history of the Koran for the orientalist German Theodore Noldeke issues of Ottoman painting, which was presented to the orientalist and his students in many respects and their view of the drawing of the Koran, such as the previous look at the Koran where they saw in his drawing and writing imbalance and unrest and raised their dissatisfaction without the basis of absolute deterministic evidence has proved in this The research lies his claims towards our holy book with irrefutable .clear evidence
The research covered their false claims and responded with a .precise scientific response
This has always been orientalists to throw arrows towards the Koran and painted attempts to destabilize the Muslims and upset them in the hearts of the book of God Almighty, but I have them, .God has told his book to defend him in every time and place
.God made us who defend his holy book - Amen

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بحكمته وعلمه، وأعجز الثقلين الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله، القائل جل شأنه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [(١)]، والصلاة والسلام علىٰ سيّدنا ونبيّنا محمد الذي أوحىٰ إليه ربه بالقرآن العظيم؛ ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، القائل: ((خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه))[(٢)].

وبعد...

فمن المعروف أن أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم سلكوا منهج الطعن في القرآن الكريم؛ لأنهم يعلمون أنه أصل الدين، فالتشكيك فيه إضعاف للدين، وصَرْف للمسلمين عن الطريق الذي لا ترىٰ فيه عوجـًا ولا أمْتـًا.

ومعظم هذه الادّعاءات مبنية علىٰ الظن، وعلىٰ ما لا يصح من الأخبار الواهية، والمختلقة المكذوبة، وبعضها مبنية علىٰ روايات صحيحة، ولكن لها محامل صحيحة، ومخارج مقبولة، وصرفوها إلىٰ المحامل التي ترضي أحقادهم، وأضاف المستشرقون إليها ما شاءت لهم نفوسهم أن يضيفوه مما هو من بنات أخيلتهم وأوهامهم، ولا غرو فهؤلاء المستشرقون نزعهم عرق واحد، وجمعتهم راية واحدة، فليس بغريب أن تكثر الموافقات في أحكامهم، وإن تفاوتت طرق الفكر ووجهات النظر، وربما وُجد من المستشرقين مَنْ بهره جلال

(١) سورة الإسراء الآية : ٨٨ .

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن – باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه – ٦ / ١٩٢ – ح رقم (٥٠٢٧) .

الحق، فنسي وظيفته الأولىٰ، واعترف بالفضل لذويه، اعترافاً كاملاً، أو محدوداً، ولكن تظل هذه الفئة قليلةً.

إن الباعث علىٰ الطعن في القرآن الكريم من قبل هؤلاء المستشرقين هو الحسد، والحسود لا يمكن إرضاؤه؛ لأن إرضاءه لا يتم إلا بسلب النعمة ممن يُحْسَد ؛ ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]، ومن كان علىٰ هذه الشاكلة فإقناعه بالعدول عن ضلاله صعب؛ لأنه يعرف الحق، وهو يكثر من إيراد الشبه دون أن يكون لها حظ من الصحة، وهذا ديدن المستشرقين ومن نحا نحوهم، ولبيان الخلل في مناهجهم أحببت أن أنقض دعواهم من خلال ما أثاره شيخ المستشرقين (تيودور نولدكه) من ادّعاءات حول النص القرآني في كتابه الشهير (تاريخ القرآن) والذي خصّص الجزء الثالث منه للطعن في النص القرآني ورسمه وقراءاته المتواترة منها والشاذ[2] وسأبيّن بحول الله وقوته لكل ذي بصيرة من طلاب الحق أن القرآن الكريم نُقِلَ إلينا نقلاً متواتراً بجميع قراءاته كما نزل علىٰ قلب الحبيب محمد ﷺ، وسيدرك حينها بجلاء النعمة التي أنعم الله بها علىٰ هذه الأمة بحفظ كتابها، وسيظهر لنا بجلاء أن بقاء القرآن الكريم دون تحريف ولا تبديل علىٰ مرِّ القرون هو معجزة من معجزات الرسول الكريم ﷺ الخالدة فالقرآن الكريم لا تنتهي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد.

أهمية الموضوع :

إن أهمية هذا الموضوع تتعلق بثلاثة أشياء :-

١- القرآن الكريم : دستور الأمة.

٢- كتاب " تاريخ القرآن " لتيودور نولدكه.

---

(١) سورة البقرة الآية : ٨٩ .

(٢) ينظر مقدمة الجزء الثاني من كتاب تاريخ القرآن لتيودور نولدكه وتلامذته .

٣- مؤلف هذا الكتاب نفسه وهو تيودور نولدكه ومن شاركه من تلامذته في تحقيقه وتعديله وإخراجه.

أما القرآن الكريم فلا تخفىٰ أهميته ومنزلته وقدره لدىٰ المسلمين جميعاً وهو أصل الدين، والمصدر الأول للشريعة الإسلامية، وهو كتاب الأمة الذي يجب علىٰ كل مسلم أن يدافع عنه بكل ما أوتي من قوة ضدّ ما أثاره المستشرقون وعلىٰ رأسهم " تيودور نولدكه " من ادّعاءات واهية.

وإنه لشرفٌ عظيمٌ يرجوه كل مسلم غيور علىٰ دينه وعلىٰ كتاب ربه أن يتصدىٰ لهؤلاء المغرضين ويفنّد مطاعنهم التي وجهوها للقرآن الكريم وقراءاته المتواترة بأسلوب علمي دقيق.

وأما كتاب " تاريخ القرآن " لتيودور نولدكه : فهذا الكتاب يحظىٰ بأهمية كبيرة في جميع الدوائر الاستشراقية في الغرب، فقد حصل " نولدكه " علىٰ درجة (الدكتوراه) عام ١٨٥٦م بسبب هذا الكتاب [(١)]، ولأهمية هذا الكتاب أيضاً اعتمد عليه غالب الباحثين المتخصصين في الدراسات الإسلامية من المستشرقين.

وفي عام ١٨٥٨م تقدم تيودور نولدكه بهذا الكتاب إلىٰ مسابقة كبرىٰ تعقد في أوروبا كل عام وهي (جائزة مجمع الكتابات والآداب) في باريس عن أفضل بحث في أوروبا يصدر عن كتاب مقدّس، وقد فاز نولدكه بهذه الجائزة مشاركة مع المستشرق الألماني (شبرنجر) والإيطالي (أماري)، وقد ضاعفت الأكاديمية هذه الجائزة ووزعت المبلغ بالتساوي علىٰ الفائزين الثلاثة[(٢)]. ويقول المستشرق المعروف (جولد تسيهر) عن هذا الكتاب : " إنه كتاب أصيل بكر "

(١) موسوعة المستشرقين د / عبد الرحمن بدوي : ٥٩٥ .

(٢) السابق .

[(١)]، ويقول عنه (آرثر جفري) المستشرق المعروف :" إنه أساس كل بحث في علوم القرآن في أوروبا [(٢)]". ، وأخيراً يقول عنه المستشرق الألماني (رودي بارت) : " لقد أصبح كتاب (تاريخ القرآن) منذ زمن طويل كتاباً أساسياً من كتب هذا الفرع من التخصص، ولا يحتاج لتبجيل أو تكريم أكثر من هذا..... وعلىٰ من يريد الاشتغال علمياً بالقرآن علىٰ أيّ نحو أن يعتمد علىٰ كتاب نولدكه (تاريخ القرآن) ذلك الكتاب الذي سيظل حافظاً لقيمته علىٰ مر الأيام [(٣)]".

ولأهمية هذا الكتاب أيضا اشترك في تحقيقه وإخراجه للطباعة أربعة من كبار المستشرقين الألمان وهم :

فردريش شفالي: حيث قام بتعديل وتحقيق الجزء الأول والثاني من الكتاب، وقد توفي قبل إنجاز مهمة تحقيق الجزء الثالث.

أوجست فيشر : بعد وفاة شفالي في عام ١٩١٩م والتي حالت دون أن يعاين صدورَ الجزء الثاني الذي يتناول جَمْعَ القرآن، والذي كان قد أعدَّه للطبع ؛ أضاف أوجوست فيشر بعض التصحيحات عليه وأصدَرَه بعد وفاته.

٣ - غوتهلف برجستراسر : قام بتحقيق وتعديل الجزء الثالث من هذا الكتاب لكنه توفي قبل إنجاز هذه المهمة أيضاً.

٤ - أوتو بريتسل: وقد تولىٰ مهمة إنجاز الجزء الثالث من هذا الكتاب وهو واحد من القائمين بالأعمال مع برجستراسر.

---

(١) ينظر مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر : ٧ .

(٢) ينظر مقدمة كتاب المصاحف لابن أبي داوود – تحقيق آرثر جفري - : ٤ .

(٣) ينظر الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية لـ (رودي بارت) : ٥٨ – ترجمة د / مصطفىٰ ماهر.

من هنا تتضح قيمة هذا الكتاب وما يحظىٰ به من أهمية بالغة عند الباحثين الغربيين في مجال الدراسات الإسلامية، وسأطنب الحديث عن هذا الكتاب في مبحث (حول كتابه تاريخ القرآن).

أما مؤلف هذا الكتاب وهو (تيودور نولدكه) فهو أيضاً يحتل مكانةً كبيرةً بين المستشرقين ليس في ألمانيا وحدها بل في أوروبا كلها لدرجة أن (جولد تسيهر) المستشرق المجري المعروف وصفه في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) بقوله :" زعيمنا الأكبر "[1].

لهذه الأهمية التي حظي بها هذا الكتاب وحظي بها مؤلفه تبرز أهمية هذا الموضوع، ثم لكونه أيضاً يتعلق أكثر بالنصّ القرآني الكريم والذبّ عنه وردّ ما أثير حوله من ادّعاءات باطلة.

أسباب اختيار الموضوع :

إن الله ﷻ أرسل نبيّه محمداً ﷺ بالهدىٰ ودين الحق، وأنزل عليه القرآن ليكون الحجة علىٰ خلقه، وليكون نوراً منيراً لهم، وحافظاً لدينهم.

وكما كتب الله ﷻ لدين الإسلام أن يكون آخر الأديان وخاتمها، فقد كتب للقرآن الكريم أن يكون آخر الكتب وخاتمها، ولهذا تعهّد، وتكفّل بحفظه وصونه من الضياع إذ قال تعالىٰ :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [2].

ولقد أدركت ما يمثله القرآن الكريم من أهمية كبيرة عند المستشرقين، ولاحظت أن أكثر ما يركز هؤلاء المستشرقون عليه من الموضوعات الإسلامية، هو موضوع القرآن الكريم، وكان شرفاً لي أن أتناول هذا الموضوع من ناحية جانب (رسم وضبط المصحف الشريف) ونظرة نولدكه وتلاميذه إليه.

وكان هناك أسباب أخرىٰ دعتني لاختيار هذا الموضوع منها :

(١) ينظر مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر : ٧

(٢) سورة الحجر من الآية: ٩.

* ـ شهرة مؤلف هذا الكتاب، لا سيما في الدوائر الاستشراقية في الغرب.
* ـ شهرة الكتاب نفسه حتىٰ أصبح مصدراً أساسيًا لجميع المستشرقين الذين يبحثون في مجال الدراسات الإسلامية.
* ـ الرغبة في الدفاع عما أثاره مؤلف هذا الكتاب من ادّعاءات حول رسم القرآن الكريم.
* ـ الذبّ عن حياض هذا الدين في أصل من أصوله وفي أساس شريعته وهو القرآن الكريم.

لكل هذه الأسباب وغيرها كان اختياري لهذا الموضوع، وأسأل الله القدير أن يقبل طلبنا للعلم هذا بتفضله، وأن لا يعاملنا بما نحن له أهل، وأن يعاملنا بما هو له أهل إنه أهل التقوىٰ وأهل المغفرة. آمين.

الدراسات السابقة :

تضافرت جهود العلماء في الذبّ عن حياض القرآن الكريم في كل زمان ومكان وقيّض الله ﷻ لهذه الأمة من يدافع عن كتابها ومصدر شريعتها، وقد مُلِئت المكتبات الإسلامية بفضل الله ومنّته بآلاف الكتب التي تعالج جهود المستشرقين حول القرآن الكريم من جميع جوانبه (تاريخه وجمعه ورسمه... إلخ) وقام العلماء بالردّ علىٰ ما أثير من شبهات تتعلق بالقرآن الكريم بصفة عامة.

لكن الرّد علىٰ ما أثير حول النصّ القرآني بما حواه من قراءات قرآنية وكلمات قرآنية طُعِن فيها كان قليلاً جدّا وتناثرت بين ثنايا كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم، وتمثّلت في الآيات التي كانت موضع شبهة لدىٰ المستشرقين.

وقد انصبّت جهود العلماء في رد الشبهات التي أثارها المستشرق المَجَري (جولد تسيهر) حول القراءات القرآنية والتي ذكرها في كتابه المعروف (مذاهب التفسير الإسلامي)، والحقّ أن هذا الكتاب كان البداية لفتح باب الردّ علىٰ ما

أثير حول بعض القراءات القرآنية من جانب علماء المسلمين حيث تنافس علماؤنا بالردّ عليه فيما أثاره من شبهات في كتابه[1].

ولم تحظ الادّعاءات التي أثارها نولدكه وتلاميذه حول القراءات القرآنية في كتابه (تاريخ القرآن) بعناية الباحثين كما حظي كتاب جولد تسيهر السابق ، وقد قام الدكتور / رضا محمد الدقيقي بمناقشة القضايا التي أثارها نولدكه وتلاميذه في هذا الكتاب في جانب العقيدة في بحثه : " شبهات المستشرقين حول العقيدة الإسلامية، دراسة تحليلية نقدية، القسم الأول من كتاب " تاريخ القرآن " لـ "تيودور نولدكه " نموذجا "، والتي نال علىٰ إثرها درجة العالمية (الدكتوراه) من قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا – جامعة الأزهر – عام ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

وقد أحببت أن أتناول ما أثاره نولدكه وتلامذته في كتابهم " تاريخ القرآن " في جانب من جوانب كتابهم وهو رسم المصحف الشريف وضبطه، وأرجو الله القدير أن يوفقني في العمل فيه علىٰ الوجه الذي يرضيه ﷻ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه – آمين –.

رأي نولدكه وتلامذته حول رسم المصحف الشريف :

تطرّق نولدكه بعد ذلك للحديث عن رسم القرآن الكريم ووصفه بأنه شهد تطوّراً كبيراً، ثم أعاد الكلام مرّة ثانية عن نصّ القرآن الكريم ووصفه مرّة بالقديم ومرّة بالجديد، وأنه ظلّ محيّراً، وتلك هي عادته التكرار والتكرار ليرسّخ الأفكار في أذهان من يطّلع علىٰ كتابه، وبالتالي ينصاع لفكرته، ويميل إلىٰ رأيه.

(١) قام بالرد علىٰ جولد تسيهر طائفة من النجباء منهم : االشيخ / عبد الفتاح القاضي ، والدكتور / عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، والدكتور / محمد حسن حسن جبل .

وأخذت الكلمات المختلفة في الرسم قسطًا كبيراً من هذا الجزء من كتاب نولدكه، وهذا لعدم ادراكه بخصائص الكتابة العربية، وقواعد الرسم العثماني[١].

وقد استهل نولدكه حديثه في الفصل المتعلق بـ (الرسم والضبط) في الفقرة الأولىٰ التي كتبها تحت عنوان :"أخطاء النص العثماني" بأن المسلمين يعترفون منذ زمن طويل بأن نصّ القرآن الكريم الذي أصدرته اللجنة التي عيّنها سيدنا عثمان ﷺ لم يكن كاملاً، واعتمد في ذلك علىٰ روايات واهية، بعضها غير موثق والآخر غير صحيح البتّة[٢].

أما الشواهد التي استند إليها في هذا التغيير فكلمات من القرآن الكريم تقرأ بصيغ مختلفة حسْب طبيعة القراءة، وكون ذلك راجع إلىٰ اختلاف القراءات هو نوع من تبرير الخطأ حسب اعتقاده، يقول : "فالذين يتحملون مسؤولية نصّ القرآن، أي عثمان ولجنته، وبالطبع النبي نفسه، سيدفعون علىٰ أنفسهم الاتهام بوجود مآخذ لغوية في المحتوىٰ بإلقاء مسؤوليتها علىٰ الكتاب، وعلىٰ أي حال فإن هذا المسلك التبريري ساذج؛ لأنه ينطلق من نظرة بشرية بسيطة لإنتاج نسخة القرآن الرسمية، بحيث يجعلنا نرد نشوء هذه الروايات علىٰ كل حال إلىٰ وقت مبكر جدا [٣]".

في الفصل الثاني الخاص بـ (القراءة) يثير نولدكه ادّعاءً آخر ينصّ فيه علىٰ أن القرآن الذي هو كلام شفاهي مسموع من الوحي يخالف القرآن المكتوب الذي هو في النصّ العثماني[٤]، وهي محاولة استشراقية يوهم بها أن للمسلمين نوعين من القرآن نوع مسموع من الوحي، تناقلت الأفواه معرفته وحفظه، وقرآن أجمعوا عليه، كُتب في وقت متأخر من الزمان يُدعىٰ " نصّ عثمان"، ثم يعود ليرتب علىٰ كل ذلك أن القرآن المسموع لم يتحول إلىٰ مركز الثقل في النصّ القرآني بل كانت الغلبة للنص المكتوب، ثم يستشهد بأن عمل زيد بن ثابت ﷺ

١) تاريخ القرآن لنولدكه ٣ / ٤٦٥- ٤٩٥ .
٢) المصدر نفسه ٣ / ٤٤٣- ٤٦٤ .
٣) تاريخ القرآن لنولدكه ٣ / ٤٤٥ .
٤) المصدر نفسه ٣ / ٥٥٧ .

اعتمد علىٰ الأصول المكتوبة في جمع القرآن، هكذا تحوّل القرآن من النقل الشفوي إلىٰ النص المكتوب، يحاول برتزل أن يدعم أطروحته هذه بالنسخ المكتوبة التي أرسلها سيدنا عثمان بن عفان ﷺ إلىٰ الأمصار لتنشأ منها قراءات مختلفة لتعود الدائرة إلىٰ النقل الشفوي لكن بصورة أخرىٰ[1].

١) المصدر نفسه ٣ / ٤٤٥ . وينظر : مواقف المستشرقين من القراءات القرآنية من خلال "تاريخ القرآن" لتيودور نولدكه بحث للدكتور / محمد خروبات أنجز خصيصاً للمشاركة في المؤتمر العلمي العالمي الذي عقده معهد دراسات المصاحف والقراءات في الفترة ما بين ١٠ إلىٰ ١٢ يونيو ٢٠١١م بـ نواكشوط بالجمهورية الإسلامية الموريتانية حول القراءات القرآنية والمصاحف .

المبحث الاول
اتّهام نولدكه وتلاميذه رسم المصحف

يقول نولدكه : -

" كان وراء التعامل مع هجاء القرآن فى القرن الثانى دافعان، أولهما يظهر فى قرار مالك (ت :١٧٩هـ) التالى : سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال : لا، إلا على الكِتْبَةِ الأولى [(١)]، وقد قاد إصلاح الهجاء العربي إلى التساؤل حول جواز طرق الكتابة الجديدة فى القرآن، وقد أدى الجواب على هذا التساؤل بالنفى إلى مراجعة أكثر دقة لأنواع الكتابة القرآنية، ولم يثمر المنع الذى أقره مالك والموافقون معه كثيراً فى هذا المجال، فبينما شهد تطور قراءات القرآن تدعيمًا متزايداً للارتباط التقليدى، تظهر أجزاء القرآن الكوفية ـ بشكل رئيس فى حالة كتابة ألف المد ـ مخالفة متنامية لقواعد الفقهاء، ومع الدخول التدريجي لأنواع الهجاء الحديثة إلى المخطوطات القرآنية لم يبق من النصوص القرآنية القديمة إلا بقية فقط، ومما يوضح هذا التباعد بين اتجاهات التطور التحول في نقل القرآن إلى جهة القراءة الشفوية، أما الدافع الثاني فيظهر من المأثور حول هجاء القرآن نفسه حيث يبرز السؤال حول العلاقة بين اختلاف القراءات والنص المكتوب [(٢)] ".

محور الادّعاء :

ادّعى نولدكه وتلامذته أن قرار الإمام مالك بمنع كتابة المصاحف على ما أحدثه الناس من الهجاء لم يكن مثمراً، وأن رسم المصحف شهد تطوراً كبيراً، وأن أنواع الهجاء الحديثة دخلت تدريجيًا إلى المخطوطات القرآنية ولم يبق من النصوص القرآنية القديمة إلا بقيّة فقط، وهذا اتهامٌ صريح لنص القرآن الكريم

(١) المقنع : ١٩ ، والاتقان فى علوم القرآن ٣/ ٢٧٢ ، واتحاف فضلاء البشر : ١٤ و١٥ .

(٢) تاريخ القرآن تيودور نولدكه ٣ / ٤٦٠ .

ورسمه، وأنه دخله بعض التعديلات، وأن هذا التطور في الكتابة جعل المسلمين يعتمدون في نقل القرآن إلىٰ جهة القراءة الشفوية، هذا ما يمكن أن نلخصه من كلام نولدكه السابق.

تفنيد هذا الادّعـاء :

إن نولدكه وتلاميذه فىٰ هذا الادّعاء المفترىٰ علىٰ كتاب الله ﷻ يفرّق بين نسخ القرآن الكريم ويؤكد أن قواعد الهجاء الحديثة دخلت علىٰ نصوص القرآن القديمة التي لم يبق منها إلا القليل فقط.

وقبل أن أدخل في تفاصيل الرد علىٰ هذا الادّعاء الباطل لابد من ذكر آراء العلماء فىٰ وجوب اتباع رسم المصحف العثمانىٰ لكىٰ أثبت بالدليل القاطع أن المسلمين التزموا الرسم العثمانىٰ ولم يغيّروه أبداً إلىٰ يومنا هذا باستثناء بعض الإشارات والعلامات التىٰ تعين علىٰ ضبط النطق وهي موضوعة فوق أو تحت الكلمة القرآنية دون المساس أبداً بالرسم الذي وقع أيام سيدنا عثمان ﷺ ويتضح هذا من خلال السطور القادمة بحول الله وقوته.

أقول : إنه حين نزل القرآن الكريم علىٰ سيِّدنا محمَّد ﷺ وبدأ تدْوينه في حياتِه، كان النَّاس آنذاك يتبعون نظامـًا كتابيًّـا معيّنـًا، يتضمن هذا النظام كثيراً من الفروق بين المكتوب والمنطوق، تتمثل هذه الفروق في زيادة رموز كتابيَّة لا يوجد لها مقابل في الأصوات، أو نقص بعض الرموز التي لها مقابل صوتي، أو غير ذلك من هذه الفروق التي لم تمثِّل عائقًا – آنذاك – أمام الناس في استخدام هذا النظام في كل أمور حياتهم اليومية، واستخدمه أصحاب رسول الله ﷺ في تدْوين كتاب الله ﷻ .

ومع ظهور هذه الفروق وبروزِها لَم يحاول علماء العربيَّة – في هذا الوقْت – تقْنين هذا النظام، وتنميط قواعده إلاَّ بعد فترة غير قصيرة، وعندما بدأوا في ذلك كانت الفكرة النحويَّة والصَّرفية قد سيطرت علىٰ التَّفكير الكتابي، وقد أدَّىٰ ذلك – بالطبع – إلىٰ بقاء كثير من الفروق بين المكتوب والمنطوق، وتطلَّب الأمر ظهور

علم جديد يتَّخذ من هذه الفروق مادَّة وموضعًا له حتَّىٰ يتمكَّن الكاتِبون من أداء كتابتِهم علىٰ صورة جديدة، هذا العِلْم هو ما سمِّي بعلْم الهِجاء، أو الرَّسم، أو ما سمَّاه صاحب "كشف الظنون" بعلم إملاء الخط [١]، أو الخطّ المخترع [٢].

أيضا فإن أول محاولة لتحسين رسم المصحف كانت محاولة الضبط التي قام بها أبو الأسود الدؤلي [١٦ق.هـ - ٦٩هـ]؛ فقد ذهب المحققون من العلماء إلىٰ أن المخترع الأول للنقط بمعناه الأول وهو نقط الإعراب أبو الأسود الدؤلي، وذلك أن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كتب إلىٰ زياد بن أُبيه - وكان زياد واليًا علىٰ البصرة من قبل معاوية يطلب عبيد الله بن زياد.. فلما قدم عليه كلّمه معاوية فوجده يلحن فرده إلىٰ أبيه وكتب له كتابًا يلومه فيه علىٰ وقوعه في اللحن فبعث زياد إلىٰ أبي الأسود وقال له : إن هؤلاء الأعاجم قد أفسدوا لغة العرب فلو وضعت شيئًا يصلح الناس به كلامهم ويعربون به كلام الله - تعالىٰ - ؟ فأبىٰ ذلك أبو الأسود لأمر ما، فأمر زياد رجلاً أن يجلس في طريق أبي الأسود وقال له : إذا مر بك أبو الأسود فاقرأ شيئًا من القرآن وتعمد اللحن فيه فلما مر به أبو الأسود قرأ قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ بجر اللام من لفظ (رسوله)، فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله، ثم رجع إلىٰ زياد وقال له : أجبتك إلىٰ ما طلبت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن، ثم اختار أبو الأسود رجلاً من عبد القيس وقال له خذ المصحف وصِبْغًا يخالف لونه لون مداد المصحف فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلىٰ

(١) كشف الظنون، حاجي خليفة، ١/ ١٦٩ .

(٢) المطالع النصرية للمطابع المصرية فى الأصول الخطية للشيخ نصر الهوريني ١٩ .

جانب الحرف أي أمامه، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإذا اتبعت شيئًا من هذه الحركات غُنَّة أي تنوينًا فانقط نقطتين. فبدأ بأول المصحف حتىٰ أتىٰ علىٰ آخره.

ويؤخذ من هذه القصة المعروفة كما قلنا أن أول محاولة لتحسين خطّ المصحف كانت محاولة الضبط التي وضعها أبو الأسود الدؤلي لكن المهم في الأمر أن هذه المحاولة لم تلامس رسم المصحف أبدا ولم تتطرق إليه وكلها علامات ورموز فوق أو تحت الكلمة القرآنية فقط، ويسمي هذا الضبط بنقط الإعراب، وعنه أخذ العلماء، وتفننوا فيه، وأدخلوا عليه كثيراً من التعديل.

ثم كانت المحاولة الثانية لتحسين رسم المصحف وتمثلت في نقط الإعجام الذي اختلف في مخترعه الأول كذلك وأرجح الآراء في ذلك أنه نصر بن عاصم، ويحيىٰ بن يعمر، وذلك أنه لما كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم كثر التصحيف في لغة العرب، وانتشر علىٰ كثير من الأفواه، فخيف علىٰ القرآن أن تمتد إليه يد هذا العبث فأمر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف وكان واليًا من قبله علىٰ العراق أن يعمل جاهداً علىٰ إبعاد أسباب التحريف عن ساحة القرآن، فندب الحجاج للقيام بهذه المهمة نصر بن عاصم ويحيىٰ بن يعمر وكانا من علماء الإسلام المبرّزين في اللغة العربية وأسرارها، وفنون القراءات وتوجيهها، فلم يجد بداً من إجابة ما ندبهما إليه الحجاج لما في ذلك من المصلحة العامة والمحافظة علىٰ كتاب الله تعالىٰ، ثم أخذ في التنفيذ فوضعا هذا النوع من النقط لتمييز الحروف بعضها من بعض ليضمن بذلك سلامة القرآن الكريم من اللحن والتصحيف، وكان هذا النقط بلون مداد المصحف حتىٰ يتميز عن النقط الذي وضعه أبو الأسود.

الخلاصة :

أن هذا التحسين أيضا لم يلامس رسم المصحف في شئ، وليس كما زعم نولدكه ومن معه.

ويفاد من ما سبق عرضه أن النقط في معناه الأول سابق في الوجود عليه بمعناه الثاني ضرورة لتقدم زمن زياد علىٰ زمن الحجاج، وأن المخترع له بمعناه الأول غير المخترع له بمعناه الثاني.

ثم إنه بعد ذلك وفي عصر الدولة العباسية ظهر إمام النحو الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري [١٠٠ ـ١٧٠هـ] فأخذ نقط أبي الأسود، وطوّر فيه وجعله علىٰ هذا النمط المستعمل الآن فجعل الضمة واواً صغيرة تكتب فوق الحروف، والفتحة ألفـًا صغيرة مبطوحة، والكسرة ياءً، ثم وضع علامة للشدة رأس شين وللسكون رأس خاء، وعلامة للمد وأخرىٰ للروم والإشمام.. وهكذا، ثم إن هذه العلامات دخل عليها شيء من الاختزال والتحسين حتىٰ آلت إلىٰ ما هي عليه الآن .

ولقد كان لهذا العمل الجليل وهو نقط المصحف وشكله أحسن الأثر، وأجل النفع في حفظ كيان الكتاب الحكيم، ووقايته من كل تشويه.

وما يهمنا هنا هو رسم الكلمة القرآنية نفسه هل تعرض للتغيير والتبديل ؟

أبداً لم يحدث ذلك، كل ما حدث هو وضع علامات وإشارات وضعت في زمن كثرت فيه الفتوحات وكثر فيه الداخلون للإسلام من العرب والعجم وخيف أن تمتد يد التغيير والتبديل لكتاب الله ﷻ.

لهذه الأسباب وغيرها قام العلماء بوضع هذه العلامات فوق أو تحت الكلمة القرآنية، وكأنه أمرٌ احترازيّ، وعلاجٌ وقائيّ، زيادة في الحيطة وأخذ الحذر.

أما أن يقول نولدكه وتلاميذه إن الدخول التدريجي لأنواع الهجاء الحديثة إلىٰ المخطوطات القرآنية لم يبق من النصوص القرآنية القديمة إلا بقيّة فقط!. فهذا ما لا نقبله أبداً؛ فالقرآن الكريم ليس فيه قديم وجديد، ورسم القرآن الكريم الذي كتبه الصحابة ﷺ بأمر سيدنا عثمان ﷺ هو نفسه القرآن الكريم الموجود بين أيدينا اليوم، ولو قمنا علىٰ سبيل المثال بحذف النقط والشكل من صفحة من القرآن الكريم الموجود بين أيدينا اليوم ووضعنا هذه الصفحة إلىٰ جانب نفس

الصفحة من المخطوطات القديمة التي كتبها عثمان ومن معه ﷺ لوجدناها كما هي من دون تغيير، قد يختلف الخطّ نظراً للفروق الفردية بين الكتّاب ونظراً لأنواع الخطوط، لكن تبقىٰ الكلمة كما هي.

أيضا فإن نولدكه ليس متخصصاً في أنواع الخطوط وليس مدرّساً للإملاء حتىٰ يعلمنا خطّنا ويتحدّث عنه ويرىٰ أن فيه تغييراً، وأن رسم المصحف لحقه تحسينات وتطويرات، وأن هناك مخطوطات قديمة لم يبق منها شيئا بسبب التغييرات الحديثة في الإملاء الداخلة علىٰ رسم المصحف!.

وكتابة القرآن الكريم في العصور التالية لعصر الصحابة ﷺ جاءت علىٰ نفس الرسم الذي كتبوه دون تغيير في حرف واحد منه، وذلك حرصاً من التابعين علىٰ الاقتداء بما فعله الصحابة ﷺ، ومعلوم أن الصحابة ﷺ مشهود لهم بالصدق والورع والأمانة.

وأقول إجمالاً :

- الرسم العثماني موجود في المصاحف إلىٰ يومنا هذا دون المساس به.
- تمسّك علماء الأمّة بهذا الرسم :

قال الشيخ الزرقاني ـ رحمه الله ـ : " روىٰ السخاوي بسنده أن مالكاً ـ رحمه الله ـ سئل: أرأيت من استكتب مصحفاً أترىٰ أن يكتب علىٰ ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم. فقال: لا أرىٰ ذلك ولكن يكتب علىٰ الكتبة الأولىٰ. قال السخاوي: والذي ذهب إليه مالك هو الحق إذ فيه بقاء الحالة الأولىٰ إلىٰ أن تعلمها الطبقة الأخرىٰ ولا شك أن هذا هو الأحرىٰ بعد الأخرىٰ. إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولىٰ.

ولا مخالف لمالك من علماء الأمة في ذلك كما قال أبو عمرو الداني، وقد قال أيضاً حول هذا الشأن : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو

والألف أترىٰ أن يغيّر من المصحف إذا وجد فيه كذلك؟ قال: لا. قال أبو عمرو: يعني الألف والواو المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو ﴿أُوْلُواْ﴾.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان ﷺ في واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك.

وجاء في حواشي المنهج في فقه الشافعية ما نصّه: كلمة " الربا " تكتب بالواو والألف كما جاء في الرسم العثماني ولا تكتب في القرآن بالياء أو الألف لأن رسمه سنة متبعة.

وقريب من ذلك قول البيهقي: " من كتب مصحفًا ينبغي أن يحافظ علىٰ الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئًا فإنهم كانوا أكثر علمًا وأصدق قلبًا ولسانًا وأعظم أمانة فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكًا عليهم [(١)]" .

وبالاطّلاع علىٰ صور المصاحف القديمة مع مقارنتها بالمصاحف الحديثة التي بين أيدينا يتبين أن رسم الكلمة لم يتطرق إليه أي تغيير، بمعني لو حذفنا النقط والشكل من المصحف الحديث لتوحد رسم المصحفين وهذا نموذج من مصحف قديم وهو المصحف الموجود في (طشقند) بـ (أوزباكستان) والذي ينسب لسيدنا عثمان ﷺ كتب فيها بعض آيات من سورة الأعراف بدأت من قوله تعالىٰ " وهو خير الحاكمين " (الآية ٨٧) ، وانتهت بـ" ياشعيب و " (الآية ٨٨) ، ونقارنها بنفس الكلمات من مصحف حديث :

(١) مناهل العرفان ١ / ٣٧٩ ، وينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٣٧٩ ، والمقنع للحافظ الداني : ١٩ ، شعب الإيمان للبيهقي ٤/ ٢١٩ .

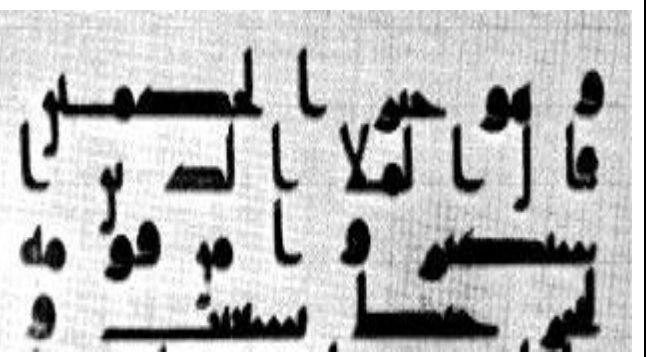	وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ سَتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ و
مصحف قديم في (طشقند) بـ (أوزباكستان) كتب في القرن الثالث الهجري	مصحف مطبوع حديثا القرن الحادي والعشرين

تجد أن الكلمات نفسها في المصحف الحديث بعد إضافة النقط والشكل هي هي في نفس أماكن المصحف القديم .

ولو أمعنّا النظر في المصحفين السابقين للمسنا الفرق المتمثل في زيادة النقط والشكل الذي تحدثت عنه آنفـًا في المصاحف الحديثة.

لكن الرسم بقي كما هو نلاحظ حذف الألف من كلمات " الحاكمين " و " يا شعيب " من النسختين القديمة والحديثة، وهذا لا يدع مجالا للشك في أن رسم الكلمة القرآنية نفسها لم يتطرق إليه أي تغيير لا قديمـًا ولا حديثـًا، اللهم إلا في نوع الخطّ فقط الذي كتبه الكاتب في المصحف الأول فهو مختلف بالطبع عن الكاتب في المصحف الثاني، وهي فروق فردية تختلف من شخص لآخر ، وقد آثرت أن آتيَ بالموضعين وجعل الكلمات في نفس أماكنها في المصحفين حتىٰ تتضح المقارنة.

بقي أن ألقىٰ الضوء حول مسألة اختلاف العلماء في وجوب كتابة المصحف بالرسم العثماني وعدم المساس به، وبين من يجيز كتابته بالرسم الإملائي، حتىٰ

أبيّن لنولدكه مدىٰ التزام جمهور العلماء بوجوب اتباع رسم المصحف العثماني؛ مما يعني أن الرسم باقٍ إلىٰ اليوم دون أن يتطرق إليه أي تغيير، وليس كما يزعم نولدكه ومن نحا نحوه أن المخطوطات القديمة لم يبق منها شئ.

ومن الواضح أنَّ هذا الخلاف بين من يُجيز كتابته بالرسم المخترع ومَن لا يجيز قائم علىٰ فهْم كلٍّ مِن الفريقَين، أو تصوُّره لمصدر الرَّسم العثماني: هل هو توقيفي أو لا ؟ والتوقيف هنا معناه : هل هو ملتزم أم غير ملتزم ؟.

الإجابة : هو ملتزم ضرورة اتفق عليها أغلب العلماء لئلا يدخل تغيير علىٰ القرآن الكريم من خلال تغيير الرسم.

وبين هذا وذاك ظهر اتِّجاه ثالث يجمع بين الرَّأيين، فيكتب المصحَف بالرَّسم العثماني، ويشرح في الهامش الكلِمات التي تختلف في الرَّسم الإملائي.

وفي السطور القادمة أبيّن هذه الآراء الثَّلاثة وأوضِّح أدلَّتهم، وموقف البحْث العلمي منها: -

١- القائلون بوجوب اتِّباع رسم المصحف العثماني :

ذهب جمهور العلماء إلىٰ وجوب اتِّباع رسم المصحف، وعدم جواز كتابتِه بالهجاء الاصطِلاحي، أو ما يسمَّىٰ بالخطِّ المخترع، ولهم علىٰ ذلك أدلَّة كثيرة، منها:

أ- أنَّ النَّبيَّ ﷺ أقرَّ كتَّاب الوحي علىٰ ما كتبوه، وهذا الإقرار يلزمنا باتباع ما كتبوه وإن كان اجتهاديًّا منهم، فهو ﷺ لَم يكن يعرف القراءة والكتابة، وكان الصَّحابة رضي الله عنهم كتبة الوحي يعرفون ذلك، فكان يملي عليهم وهم يكتبون، ولو كان اجتهادهم فىٰ الكتابة غير مراد الله ﷻ ما تركهم عليه، وما دام قد تركَهم علىٰ ذلك، فدلَّ علىٰ أنَّ الله ﷻ ورسوله مقرَّان لهذه الكتابة التي يكتبها الكتَبة من صحابة رسول الله ﷺ فكانت بذلك اجتهاديَّة من الصَّحابة رضي الله عنهم، باعتبار ترْك الشَّارع لهم يكتبون علىٰ ما يعرفون، توقيفيَّة باعتِبار تقْرير الشَّارع لهم علىٰ ما

كتبوا، وعدم تخطِئَتهم في كتابتهم، ولو لم تكُن صحيحة لبيَّن لهم ووجَّههم حسب ما يريد[1].

ب- إجماع الصَّحابة ﷺ علىٰ هذا الرَّسم، وكانوا وقتئذ اثني عشر ألفًا [2]، ثمَّ إجماع التابعين بعد ذلك وتابعي التَّابعين، فلم يخالف أحدٌ منهم هذا الرَّسم، ولم ينقل عن أحدٍ منهُم أنَّه فكَّر في أن يستبدِل بالرَّسم المصحفي رسمًا آخر.

ج- إجماع الفقهاء - رحِمهم الله - علىٰ هذا الرَّسم، كما في قول الإمام مالك والإمام أحمد السابقين.

لهذه الأدلَّة وغيرها ذهب جُمهور العلماء : إلىٰ وجوب اتِّباع الرسم المصحفي، وعدم جواز كتابته بالإملاء الاصطلاحي.

٢- القائلون بجواز كتابة القرآن الكريم بالخط المخترع:

ذهب فريقٌ من العلماء القدامىٰ والمحدثين إلىٰ جواز كتابة القرآن الكريم بالرسم الإملائي، بل دعا إليْه بعضهم، فمِن القدامىٰ دعا إليْه عزُّ الدين بن عبدالسَّلام، الذي يقول: " لا يجوزُ كتابة المصحف الآن علىٰ الرُّسوم الأولىٰ باصطِلاح الأئمَّة؛ لئلاَّ يوقع في تغْيير من الجهَّال ولكن لا ينبغي إجراء هذا علىٰ إطلاقه لئلا يؤدي إلىٰ دروس العلم وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة [3] ".

وعلّق الشيخ الزرقاني علىٰ هذا الكلام قائلاً : " وهذا الرأي يقوم علىٰ رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين: ناحية كتابته في كل عصر بالرسم المعروف فيه إبعاد للناس عن اللبس والخلط في القرآن وناحية إبقاء رسمه الأول المأثور يقرؤه العارفون

(١) رسم المصحف بين المؤيِّدين والمعارضين، د. عبدالحي الفرماوي، ص ٢٧ .

(٢) سمير الطالبين للشَّيخ الضباع : ١٨ أوينظر رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية : ١٧٩ .

(٣) اتحاف فضلاء البشر للبناء الدمياطي : ١٥ ، و البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٧٩ .

ومن لا يخشىٰ عليهم الالتباس. ولا شك أن الاحتياط مطلب ديني جليل خصوصاً في جانب حماية التنزيل." (١)

وقد ردَّ علىٰ هذا الاتجاه بأنَّ إقرار الرَّسول ﷺ الكتَّاب الذين كتبوا المصحف سنَّة يَجب اتِّباعها، كما ردَّ عليه بإجماع الصَّحابة ﷺ والتَّابعين علىٰ هذا الرسم، ويضاف إلىٰ ذلك أنَّ هذا الرَّسم لو لم يكن له مزيَّة إلاَّ اتِّصال سند القارئ بسيِّدنا رسول الله ﷺ لوجبتِ المحافظة عليْه من أجل ذلك، فهذا الرَّسم يجعل القارئ لا يكتفِي بالمكتوب في قراءة النَّصِّ القرآني؛ بل إنَّ عليْه أن يتطلَّب النَّص بالسَّماع من أفواه الشُّيوخ الَّذين تلقَّوه عن شيوخ يتَّصل سندُهم بسيِّدنا الرَّسول ﷺ وهذا ممَّا يضعف هذا الاتِّجاه.

٢- الرأي الذي توسط بين الأمرين :

بين مَن أوجب اتِّباع رسم المصحف الإمام، ومَن أجاز كتابة القرآن الكريم بالرَّسم الإملائي، ظهر اتِّجاه ثالث أراد أن يَجمع بين الرأْيَين، هذا الاتِّجاه يتمثَّل في محاولة الشَّيخ عبدالجليل عيسىٰ - مع إيمانه فيما يبدو بعدم التوقيف - الجَمع بين الرأْيين في مصحف سمَّاه بالمصحَف الميسَّر، وذلك باتِّباع الرسم العثماني مع التَّنبيه في هامشه علىٰ الوجْه الاصطِلاحي فيما تظهر فيه المخالفة(٢).

وقد صنف الدكتور / عبد الحي الفرماوي مجلداً كاملاً عن خط المصحف ووجوب اتباع رسمه وذلك في كتابه المعروف (رسم المصحف ونقطه) وتكلم عن الآراء الثلاثة السابقة وبين أدلة كل رأي وذلك في الفصول الثلاثة الأولي من الباب الثالث من الكتاب(٣).

(١) مناهل العرفان ١/ ٣٨٦، و رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية : ٢٠٠ و ٢٠١.
(٢) ينظر الآراء الثلاثة في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٢٧٢، والبرهان للزركشي١/ ٣٧٦ .
(٣) رسم المصحف ونقطه د/ عبد الحي الفرماوي ٣٤١ : ٤٣٣ .

بقي أن نشير إلىٰ أن بعض العلامات والإشارات التي وضعت حديثا والتي أشرت إليها سابقـًا وهي موضوعة فوق السطور ووضعت لكي تعين علىٰ الفهم وتساعد علىٰ الحفظ ومع التسليم بأنَّ هذه العلامات ليست من الرَّسم المصحفي، وهي موضوعة فوق الكلمة أو تحتها وبخط صغير ومميَّز عن الرسم الأصلي، وهي علامات إشاريَّة قصد منها تعريف القارئ بِمواضع الوقف والوصل وعلامات الإظهار والإدغام وغيرها ممّا هو معروف في علم التجويد وعلم الوقف والابتداء توضح للقارئ أثناء القراءة بطريقة عمليَّة ميسَّرة، فالاختلاف فيها لا يؤثِّر علىٰ الرَّسم الأصلي في شيء.

وكل هذا – كما ذكرنا – لا علاقة له بأصْل الرَّسم الثابت ثبوت الجبال – ولله الحمد – والله الموفق.

وبهذا يثبت أن رسم المصحف لم يتغير ولم يشهد تطوراً كما ادّعىٰ نولدكه ومن معه، فما رسم في المصاحف القديمة هو نفسه المرسوم في المصاحف الحديثة.

إن القرآن الذي أنزله الله ﷻ علىٰ قلب نبينا محمد ﷺ وعلمه الصحابة ﷺ هو نفسه القرآن الكريم الذي نقرأ به اليوم لم يتطرق إليه أي تغيير أو تبديل، نعم تغيرت طباعة المصحف وتطورت عن الصورة التي كانت عليها سابقـًا وهذا أمر لا شك فيه نظراً للتقدم الحديث الذي تشهده دور الطباعة من ورق وماكينات حديثة ومتطورة وهو أمر بدهي، فالمصاحف في عهد سيدنا عثمان ﷺ لم تكن أبداً كالمصاحف في عهدنا؛ فالعالم كله تغيّر وتطوّر في جميع المجالات وفي جميع نواحي الحياة فهل كانت طباعة الكتب قبل قرن ونصف كما هي عليه الآن ؟ الإجابة : لا ، لقد تطورت تطوراً كبيراً ومذهلاً، فكذا طباعة المصحف تطورت هي الأخرىٰ لكن هل تطورت بمعنىٰ أن النص الأصلي للكلمة حدث فيه تغيير أو تبديل ؟ لا أبداً . لم تتطرق الكلمات القرآنية ولا الرسم العثماني إلىٰ

أي تغيير أو تبديل فشكل الرسم العثماني وشكل الكلمة القرآنية التي كتبها الصحابة ﷺ ظلّت باقية إلىٰ اليوم لم تتغير، وكل ما يمكن قوله : إن الذي تغير وتطور هو ما وضعه علماء الرسم والضبط والشكل والوقف والابتداء من إضافات فوق الكلمة القرآنية أو تحتها ووضعت بخط صغير مختلف عن خط الكلمة القرآنية وكل هذه الأمور لمزايا وأسرار. (١)

إن رسم القرآن الكريم له خصوصيته التي تميز بها، وهىٰ فىٰ الحقيقة ميزة عظيمة وليست عيباً أو خطأً.

إن قواعد الهجاء والإملاء الحديثة عرضة للتغيير والتبديل فىٰ كل عصر وجيل فلو أخضعنا رسم المصحف لهذه القواعد لأصبح القرآن عرضة للتغير والتنقيح وحيطتنا نحن المسلمين للكتاب العزيز وتقديسنا له؛ يضطرنا إلىٰ أن نجعله بمنأىٰ عن هذه التغييرات فىٰ رسمه وكتابته.

إن تغيير رسم المصحف العثماني ربما يكون مدعاة ـ من قريب أو بعيد ـ إلىٰ التغيير فىٰ جوهر الألفاظ والكلمات القرآنية، ولا شك أن فىٰ ذلك القضاء علىٰ أصل الدين وأساس الشريعة، وسداً لذرائع أصل من أصول الشريعة الإسلامية. (٢)

---

(١) للمزيد من مزايا رسم المصحف الشريف ينظر فنون الأفنان لابن الجوزي : ٢٢١ وما بعدها ، ومجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت ، السنة التاسعة عشرة ، العدد : السادس والخمسون ، محرم ١٤٢٥ هـ = مارس ٢٠٠٤م ، ص ٨٩ ، ، " ما اختلف رسمه من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية " بحث للدكتور / محمد خازر المجالي ، دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي : ٣٦٩، ومناهل العرفان للزرقاني١/ ٣٧٦– ٣٧٧ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم د.محمد أبو شهبة :٣٥٢ وما بعدها ، ورسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة ، د. شعبان محمد إسماعيل: ٧١، وبحوث قرآنية: ١٦١: مجموعة أبحاث تدور في فلك القرآن الكريم وعلومه ، إصدار مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة ، بدون تاريخ ، والصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس : ١٨ ، والمحكم في نقط المصاحف للحافظ الداني : ١٩٦، ومنهج الفرقان في علوم القرآن للشيخ محمد علي سلامة : ١٤٦ .

(٢) الأحرف السبعة وأصول القراءات ـ محمد محمود عبدالله – صـ١٢١ ـ ١٢٣ .

المبحث الثاني
حديث (نولدكه) وتلاميذه
عن الكلمات المختلفة في الرسم

بعد أن طعن نولدكه وتلاميذه في نصّ القرآن الكريم واتّهمه بأنه أدخل عليه بعض التحسينات، بدأ نولدكه وتلامذته يوردون أمثلة من نص القرآن الكريم، يرون أنها مرة ترسم بطريقة معينة، ومرة أخرىٰ تكتب بطريقة مخالفة للطريقة التىٰ كتبت بها في الموضع الأول، ويبدو أن هذا الأمر سبّبَ لديهم إشكالاً كبيراً جعلهم يطعنون في هذه الأمثلة، ونسوا أن كل هذه الأمثلة التىٰ استشهدوا بها لها دلالات وعلامات وأسباب وأسرار ومعانٍ جعلها تكتب في بعض المواضع برسم وفي مواضع أخرىٰ تكتب برسم مختلف.

وإذا تكلم (نولدكه) ومن معه عن تغيّر رسم الكلمات تغيّرا يجعلها تُقرأ علىٰ أنها كلمات أخرىٰ فهذا موضوعه ومن حقه أن يهاجم من هذ الناحية، أما كلامه عن رسم مختلف للكلمة الواحدة التي تقرأ قراءة واحدة لكن كتبت فيها تاء تأنيث مرة مفتوحة ومرة مغلقة فهذا شأنٌ إملائي ومن حقّه هو أن يتحوّل، أي يحوّل نفسه إلىٰ مدرس إملاء لكن يجب حينئذ أن يعلم :

أ ـ أن القراءة واحدة.

ب- تعليقه مرفوض لأنه شأن إملائي (خاص بالرسم).

ج- وراءه أسباب في القراءة العربية (كالوقف بالتاء أو بالهاء)، وهذا شأن عربي لهجي كان عليه أن يعرفه قبل أن يعلق علىٰ الرسم.

د- إن شاء أن يعرف أساس الاختلاف في هذا الرسم فنحن نبين له تطوّعـًا منّا لا أن هذا مطعنٌ علينا.

والعجب كل العجب أن يتحدث نولدكه وتلاميذه في هذا المبحث عن أنواع الخطوط لدينا وعن رسم بعض الكلمات المختلفة في الرسم والمتفقة في النطق

أحياناً ونسي أن هذا الأمر لغويٌّ ولهجيٌّ بحت وخاصّ بلهجتنا ولغتنا نحن، وهو دأب كثير من اللغات كالإنجليزية والفرنسية وغيرها، فهناك الكثير من الكلمات الإنجليزية والفرنسية التي تكتب علىٰ هيئة غير التي تنطق بها، وقد يزاد في الكلمة الإنجليزية حرف أو حرفان بل ثلاثة أحرف تكتب ولا تنطق، وفي أحيان كثيرة لا ينطق النصف الأخير من الكلمة في اللغة الفرنسية، ثم يأتي نولدكه ويطعن علىٰ بعض الكلمات في لغتنا لمجرد زيادة حرف أو نقصانه أو كتابته علىٰ هيئة معينة، وقبل أن أورد بعض الأمثلة التي استشهد بها نولدكه، أضرب بعض الأمثلة من اللغة الإنجليزية تكتب فيها بعض الحروف ولا تنطق(قد تصل إلىٰ ثلاثة) و ليس هناك قواعد ثابتة للحروف الغير منطوقة فى الإنجليزية والأمر يعتمد علىٰ السمع.. ولكنىٰ بحثت ووجدت بعضاً منها ثابت وهي الآتي :-

١ ـ لا ينطق حرف"W" إذا أتىٰ بعدة حرف "R" WR

تكتب Write وتنطق رايت، wrong وتنطق رونق.

٢ ـ لا ينطق حرف "K" إذا اتىٰ بعده حرف "N" KN

فكلمة Know تنطق نو.

٣ ــ لا ينطق حرف "L" إذا اتىٰ بعدة حرف "K" LK

فكلمة Talk بمعنىٰ يتكلم تنطق توك.

٤ ــ لا ينطق حرف "L" إذا اتىٰ بعدة حرف "M" LM

فكلمة Palm بمعنىٰ نخلة تنطق بام.

٥ ــ لا ينطق حرف "T" إذا أتىٰ قبلة حرف "S" ST

فكلمة Castle بمعنىٰ قلعة تنطق كاسل.

هذا فقط علىٰ سبيل المثال لا الحصر ، وهناك الكثير حتىٰ لا يظن نولدكه ومن بعده أنه نصّبَ نفسه مدرّساً للخط أو الإملاء حتىٰ يصحّح لنا خطّنا.

ونظراً لكثرة الأمثلة التي أوردها نولدكه[١] والتي تشبه بعضها بعضاً في مواضع كثيرة فإني آثرت أن أكتفي ببعض الأمثلة نظراً لتكرارها وتشابهها في:

المثال الأول : **تاء التأنيث** :

طعن نولدكه في تاء التأنيث ورأىٰ أنها تكتب مرة(ت) ومرة (ـة أو ة) ـ يقصد التاء المفتوحة والتاء المربوطة ـ، واستشهد نولدكه بـ (نعمت)[٢] و(رحمت)[٣] و(معصيت)[٤]... وغيرها، وجهل نولدكه وتلاميذه أن هذه الكلمات وغيرها اختلف في رسمها وذلك لتعاور القراءات عليها، وأيضاً رسمت كذلك إشارة إلىٰ بعض لغات العرب[٥].

أما تعاور القراءات عليها : فإن بعض القراء يقف علىٰ الكلمات التىٰ رسمت بتاء التأنيث المفتوحة بالهاء : –

فهذا ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وكذا يعقوب [٦] يقفون بالهاء علىٰ هاء التأنيث المكتوبة بالتاء المفتوحة مثل : (رحمت) (البقرة ٢١٨) وغيرها، و (نعمت) (البقرة ٢٣١) وغيرها، و (سنت) (الأنفال ٣٨) وغيرها، و (امرأت)، (آل عمران٣٥) وغيرها، و(بقيت) (هود ٨٦) وغيرها، وهكذا في مواضع كثيرة رسمت فيها هاء التأنيث بالتاء المفتوحة، وقرأها القراء السابقون وقفا بالهاء، وغيرهم وقف بالتاء.

---

(١) ينظر الأمثلة تاريخ القرآن لتيودور نولدكه ٣/ ٣٦٥ : ٤٩٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٣١ وغيرها .

(٣) سورة البقرة : ٢١٨ وغيرها .

(٤) سورة المجادلة من الآية: ٨ .

(٥) تاريخ القرآن تيودور نولدكه ٣ / ٤٦٦.

(٦) ينظر النشر ٢/ ٩٧ ، والإتحاف: ١٣٧ ، ١٣٨ .

وأقول لنولدكه وتلاميذه : لو كتبت هذه المواضع كلها في جميع النسخ التىٰ أرسلها سيدنا عثمان ﷺ إلىٰ الأمصار الإسلامية لو كتبت جميعها بالتاء المربوطة لوقف عليها جميع القراء بالهاء، وفي هذا مخالفة لقراءة من وقف عليها بالتاء، فكتبت بالتاء لتحتمل قراءة الهاء والتاء معـًا، ولو كتبت بالهاء لما احتملت إلا القراءة بالهاء فقط.

أما من ناحية أن في رسم التاء بهذا الشكل إشارة إلىٰ بعض لغات العرب فإن الوقف علىٰ هذه الكلمات بالهاء يتناسب مع لغة قريش، والوقف بالتاء يتناسب مع لغة طيء [(١)].

وخلاصة ما يمكن أن نقوله عن كتابة هاء التأنيث بهذا الشكل ـ أعنىٰ بالتاء المفتوحة في مواضع وبالتاء المربوطة في مواضع أخرىٰ مثل (رحمة) ترسم أحيانا (رحمت) وهكذا فىٰ بقية النظائر مثل (نعمة ـ لعنة ـ امرأة ـ شجرة ـ سنة ـ قرة ـ جنة ـ فطرت ـ بقيت ـ ابنة ـ كلمة) :

أولاً : أنها لغة طائفة تنطق التاء هاء فىٰ الوقف فرسمت هاء هكذا (رحمه).

ثانيـًا : لغة طائفة تنطق التاء المربوطة فىٰ الوقف تاء مفتوحة قيل هىٰ لغة طيىٔ هكذا (رحمت) فرسمت علىٰ اللهجتين.

ثالثـًا : كتبوا تاء التأنيث فىٰ آخر الكلمة هاء ليفرقوا بينها وبين الأصلية فىٰ بناء الكلمة. هذا رأىٰ الخليل وقد علق الدكتور غانم بأن هذا الرأىٰ قد جانبه الصواب.

يقول د / غانم قدوري الحمد : " كان لعلماء العربية وعلماء الرسم والقراءات محاولات في العثور علىٰ ذلك التفسير، وكانت خطىٰ الجمع متقاربة في هذا الميدان إلا أن الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه قد أغربا في ذلك، وربما

(١) الاتحاف : ١٣٧ ، ١٣٨ ، وشرح طيبة النشر في القراءات العشر للنويري ٣/ ٢٢٤ ، ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٧٥ .

جانبا الحقيقة والصواب حين علّلا تغير تاء التأنيث في الوقف إلىٰ الهاء " ليفرقوا بينها وبين الأصلية في بناء الكلمة " مع أن التاء هي الأصل عندهما.

وقد اتفق معظم علماء العربية علىٰ أن التاء هي الأصل في علامة التأنيث وأن الهاء تخلفها في الوقف، فجاءت معظم الأمثلة لذلك مرسومة بالهاء، ولكن قد روي عن بعض النحويين قولهم إن الهاء في المؤنث هي الأصل في الأسماء، ليفرقوا بينها وبين الأفعال، فتكون الأسماء بالهاء والأفعال بالتاء. لكن عامتهم يردون هذا المذهب للزوم التاء في الوصل الذي تجري فيه الأشياء علىٰ أصولها.

ولما كان الأصل أن تكتب الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها والوقف عليها أصبحت القاعدة العامة في رسم تاء التأنيث أن تكتب بالهاء، وقد حاول علماء السلف تعليل ما ورد مرسوما بالتاء مما مر ذكره قبل قليل. وانحصرت تفسيراتهم في كتابتها علىٰ الأصل الذي هو التاء، أو كتابتها علىٰ مراد الوصل، فيقول أبو بكر الأنباري : " وإنما كتبوها في المصحف بالهاء لأنهم بنوا الخط علىٰ الوقف، والمواضع الاتي كتبوها بالتاء الحجة فيها أنهم بنوا الخط علىٰ الوصل ". وينقل المهدوي أن بعض العلماء زعم أن ذلك من المملي والكاتب، فإن المملي كان إذا وصل الكلمة، التي فيها هاء التأنيث بالكلمة التي تليها، انقلبت الهاء تاء في الإدراج فكتبها الكاتب علىٰ اللفظ بها في الوصل ، وإذا قطع الكلمة مما بعدها فقال كان لفظه بالهاء، فكتب الكاتب بالهاء علىٰ لفظه.

واختلف القراء في الوقف علىٰ ذلك فكان أكثرهم يقف بالتاء علىٰ ما كتب من ذلك بالتاء، ويقول الوقف علىٰ ما في المصحف لا يتعدىٰ، ما كان في المصحف بالتاء وقفت عليه بالتاء، وما كان بالهاء وقت عليه بالهاء، وقال آخرون أنت مخير، إن شئت وقفت علىٰ كل هاء للتأنيث في كتاب الله ﷻ بالهاء،

وإن شئت وقفت بالتاء، فإذا وقفت بالهاء احتججت بأنك مريد للسكت، وإذا وقفت بالتاء احتججت بأنك مريد للوصل.

ولعل من وقف علىٰ تاء التأنيث بالتاء ورسمها كذلك يكون جاريا علىٰ لغة طائفة من العرب، إذ يقول سيبويه : " وزعم أبو الخطّاب أن ناسًا من العرب يقولون في الوقف : طلحت، كما قالوا في تاء الجميع قولاً واحداً في الوقف والوصل [(١)]"، وقيل إنها لغة طيء، يقولون : حمزت وطلحت، وروي أنهم نادوا يوم اليمامة : يا أهل سورة البقرت، وتروىٰ في ذلك بضعة أبيات من الشعر قد لزمت فيها القافية المنتهية بتاء التأنيث التاء (مسلمتْ، الغلصمتْ، أمتْ) [(٢)] وربما كتبت تاء التأنيث تاء في تلك المواضع علىٰ هذه اللغة.

تلك هي جهود علماء السلف في تعليل ظاهرة رسم تاء التأنيث في بعض المواضع بالتاء وفي معظمها بالهاء [(٣)]".

رابعًا : الأصل فىٰ كتابة الكلمة أن تكتب بصورة لفظها بتقدير الابتداء بها والوقف عليها؛ فلذلك ترسم تاء تأنيث مرة وهاء أخرىٰ والقاعدة العامة فىٰ رسم تاء التأنيث أن تكتب بالهاء.

---

(١) الكتاب لسيبويه ٤/ ١٦٧.

(٢) يقصد بذلك الأبيات المشهورة لأبي النجم:

اللهُ أَنْجَـــــاكَ بِكَفّي مَسْلَمَتْ ∴ مِنْ بَعْدِ مَا وَبَعْدِ مَا وَبَعْدِ مَتْ

كادتْ نُفُوس القوْمِ عِندْ الغَلْصَمَتْ ∴ وكادَتِ الحرَّةُ أن تُدْعَىٰ أَمَتْ

وهذه الابيات من الرجز المشطور ، ومسلمت - بفتح الميم واللام -: اسم شخص واصله مسلمة والغلصمة: راس الحلقوم. يريد نجاك الله من الاعداء بكف هذا الرجل المسمىٰ مسلمة بعد ما كاد يتعسر عليك الا فلات وكادت النساء الحرائر يسبين فيصرن اماء.

ويمكن الاستشهاد بالبيت علىٰ أن هاء التأنيث وقف عليها بالتاء لغة ولهجة لبعض العرب .

وينظر الأبيات في : اللسان ١٥ / ٤٧٢ ، والخصائص ١/ ٣٠٥ ، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك ٤ / ١٤ .

(٣) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية د/ غانم قدوري الحمد : ٢٧٠ : ٢٧٢ ، وينظر الكتاب لسيبويه ٤/ ١٦٧ ، والمقتضب للمبرد ١ / ٦٣ ، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري١/ ٢٨٧.

خامساً : معظم علماء اللغة يقولون : التاء هيٰ الأصل فيٰ علامة التأنيث والهاء تلحقها فيٰ الوقف لذلك معظم الأمثلة مرسومة بالهاء.

سادساً : كتبت تاء علىٰ الأصل والوصل وتكتب هاء علىٰ الوقف.

هذا كله بالإضافة إلىٰ أن ما ورد من كلمات فيها هاء تأنيث مختلف فيها إنما رسمت كذلك أىٰ بالتاء المفتوحة؛ لتعاور بعض القراءات عليها كما أشرنا سابقاً.

وهناك كلمات رسمت بالتاء؛ لأنها موضع خلاف بين القراء بعضهم قرأها بالجمع والبعض الآخر بالإفراد فلذلك كتبت بالتاء لتوافق القراءتين بلغ عددها ثماني كلمات هي : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾ فِي الْأَنْعَامِ [1]، وَفِي يُونُسَ ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [2]، وَفِي غَافِرٍ ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [3]، وَ ﴿لَقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ فِي يُوسُفَ [4] و﴿فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ فِي يُوسُفَ [5] وَ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فِي الْعَنْكَبُوتِ [6]، و ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ فِي سَبَأٍ [7] وَ ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ فِي فَاطِرٍ [8] ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ فِي فُصِّلَتْ [9]، و﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ المرسلات. [1]

---

(١) من الآية : ١١٥ .

(٢) من الآية : ٩٦ .

(٣) من الآية : ٦ ..

(٤) من الآية : ٧ . وقد قرأ ابن كثير بغير ألف علىٰ التوحيد، وقرأ الباقون بالألف علىٰ الجمع. النشر ٢ / ٢٩٣ .

(٥) من الآية : ١٠ .

(٦) من الآية : ٥٠ . وقد قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (آية) بالتوحيد، وقرأ الباقون بالجمع. النشر ٢ / ٣٤٣ .

(٧) من الآية : ٣٧ .

(٨) من الآية : ٤٠ .

(٩) من الآية : ٤٧ .

وقال ابن الجزري عن هذه الكلمات : " ومن قَرَأَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ بِالْإِفْرَادِ وَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِ الْوَقْفُ بِالْهَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ وَقَفَ بِالْهَاءِ وَإِنْ كَانَ مِنْ مَذْهَبِهِ الْوَقْفُ بِالتَّاءِ وَقَفَ بِالتَّاءِ. مَنْ قَرَأَهُ بِالْجَمْعِ وَقَفَ عَلَيْهِ بِالتَّاءِ كَسَائِرِ الْجُمُوعِ. وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَىٰ ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي أَمَاكِنِهِ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ -.

وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْمَصَاحِفُ عَلَىٰ كِتَابَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالتَّاءِ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ فِي الْحَرْفِ الثَّانِي مِنْ يُونُسَ، وَهُوَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [٢]، قَالَ: تَأَمَّلْتُهُ فِي مَصَاحِفَ أَهلِ الْعِرَاقِ فَرَأَيْتُهُ مَرْسُومًا بِالْهَاءِ ; وَكَذَلِكَ اخْتُلِفَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ فِي غَافِرٍ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ فَكِتَابَتُهُ بِالْهَاءِ عَلَىٰ قِرَاءَةِ الْإِفْرَادِ، بِلَا نَظَرٍ. وَكِتَابَتُهُ بِالتَّاءِ عَلَىٰ مُرَادِ الْجَمْعِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ الْإِفْرَادُ وَيَكُونُ كَنَظَائِرِهِ مِمَّا كُتِبَ بِالتَّاءِ مُفْرَدًا. وَلَكِنَّ الَّذِي هُوَ فِي مَصَاحِفِهِمْ بِالتَّاءِ قَرَءُوهُ بِالْجَمْعِ فِيمَا نَعْلَمُهُ - وَاللهُ أَعْلَمُ -. " [٣]

ثم إن الأمة مجمعة قديمًا وحديثًا علىٰ ضرورة كتابة القرآن الكريم بهذا الرسم منذ عهد الصحابة ﷺ الذين ارتضوا فعل سيدنا عثمان ﷺ في المصاحف [٤] وأجمعوا علىٰ ذلك وكان عددهم يزيد علىٰ اثنيٰ عشر ألف صحابيٍّ، ويستحيل تواطؤهم علىٰ الكذب؛ فهم خير القرون بنص حديث رسول الله ﷺ. [٥]

---

(١) من الآية : ٣٣ .

(٢) سورة يونس من الآية : ٩٦ .

(٣) النشر ٢ / ١٣٠ و ١٣١ .

(٤) استخرج علماؤنا – رحمهم الله – لطائف وأسراراً كثيرة لكل تاء تأنيث رسمت مفتوحة أو مربوطة وقعت في القرآن الكريم ومن هؤلاء : الإمام المراكشي في كتابه عنوان الدليل : ٣١ ، والدكتور سامح القليني في كتابه الجلال والجمال رسم الكلمة في القرآن الكريم : ٢٣٦ : ٢٤٥ ، والدكتور عبد العظيم المطعني في لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف ١٠٨ وما بعدها بتصرف – ، و الأستاذ / محمد شملول في كتابه إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة :١٦٩ : ١٧٣ .

(٥) ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته " صحيح البخاري رقم ٢٦٥٢ كتاب بدء الوحىٰ باب لا يشهد علىٰ شهادة جور إذ أشهد ٩/ ٤٤٢ ، وصحيح مسلم رقم ٢١٢ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ٤/ ١٩٦٢ .

أيضا فإن التاء المفتوحة فتحت حال الإضافة لأن المفروض أن المضافة لا يوقف عليها، وإن رسمت مربوطة فحسب الأصل، وهي الصالحة للوقف عليها، فترسم حسب الأصل مربوطة، وحسب بعض اللهجات العربية مفتوحة لأنه يوقف عليها بالتاء. أو لتحتمل أن تقرأ الكلمة علىٰ أنها جمع مؤنث سالم.

وبالنسبة لاختلاف القراءات فهذا أمر لا شك فيه طالما ثبت سندها فلا كلام لنولدكه ولا لغيره عندنا. ويكون لنولدكه كلام إذا وجد اختلافاً بين القراءات فيه تناقض.، وما دام لا يوجد تناقض فلا حق له فيما ادّعاه، لأن الله هو الذي يشرّع لنا وليس نولدكه وتلاميذه.

المثال الثاني : " **كلمت** " - " **آيات** " - "**ثمرات**":

استشهد نولدكه بثلاثة أمثلة شكّك في رسمها وحدث لديه اضطراب كبير ولم يعِ المقصود من رسمها بهذا الشكل الكلمات هي : (كلمت) الأنعام[(١)]، و يونس[(٢)]، والكلمة الثانية (آيت) العنكبوت[(٣)]، والثالثة : (ثمرات) فصلت[(٤)].

ولم يدرك نولدكه أبداً أن هذه الكلمات التىٰ استشهد بها رسمت بهذا الشكل؛ لتحتمل قراءة الإفراد وقراءة الجمع، إذ لو رسمت بالتاء المربوطة لما احتملت إلا قراءة الإفراد فقط دون قراءة الجمع؛ لأنه لا يوقف علىٰ التاء المربوطة إلا بالهاء، ورسمها بهذا الشكل يحتمل القراءتين الجمع والإفراد وعليه يكون هناك ثراء للمعنىٰ علىٰ كلا القراءتين.

وبيان ذلك : -

أولاً : قوله تعالىٰ : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ... ﴿١١٥﴾﴾ [(١)] (كلمت) رسمت بالتاء المفتوحة لتحتمل القراءتين الافراد والجمع : فقرأ عاصم وحمزة

(١) من الآية : ١١٥ .
(٢) من الآية : ٩٦ .
(٣) من الآية : ٥٠ .
(٤) من الآية : ٤٧ .

والكسائي ويعقوب وخلف العاشر[٢] بالتوحيد أي الافراد (كلمة) والمعنىٰ علىٰ هذه القراءة كما يقول ابن أبىٰ مريم : " والوجه أن الكلمة قد جاءت في كلامهم، ويراد بها الكثرة، فإنهم يذكرون الكلمة ويريدون بها القصيدة والخطبة، يقال : قال زُهير في كلمته، وقال قُسٌّ في كلمته، فمحصول ذلك أنه يُراد بالكلمة ما يراد بالكلمات " ، ثم وجه ابن أبىٰ مريم قراءة الباقين بالجمع قائلاً : "والوجه ـ يقصد في قراءة الجمع ـ : أن المراد ما جاء في كلامه - تعالىٰ - في وعد ووعيد وثواب وعقاب فهي ضروب، فلهذا جمعت، فأراد أن لا تبديل فهيا ولا تغيير [٣]".

وقال أبو زرعة في توجيه قراءة الجمع : " وقرأ الباقون " كلمات ربك " علىٰ الجمع وحجتهم في ذلك أنها مكتوبة بالتاء، فدلّ ذلك علىٰ الجمع وعلىٰ أن الألف التىٰ قبل التاء اختصرت في المصحف، وحجة أخرىٰ: أن الكلمات جاءت بعدها بلفظ الجمع فقال : ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [٤] وفيها إجماع ـ يعنىٰ من القراء علىٰ قراءته بالجمع ـ، فكان الجمع في الأول أشبه بالصواب للتوفيق بينهما إذ كانا بمعنىٰ واحد" [٥].

وهكذا فإننا نجد أن قراءة الجمع أضافت معنىٰ آخر لا يتعارض أبداً مع قراءة الإفراد لكن قراءة الجمع أعطت مزيداً من الثراء للمعنىٰ وكذا الحال في الكلمات الباقية التىٰ استشهد بها نولدكه.

ثانيـًا : قوله تعالىٰ : ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [٦] (ءآيت) رسمت بالتاء المفتوحة لتحتمل قراءتي التوحيد والجمع إذ لو رسمت بالتاء المربوطة لما احتملت قراءة الجمع وفي

(١) سورة الأنعام من الآية : ١١٥ .
(٢) النشر ٢/ ١٩٧ ، والإتحاف: ٢٧٢ .
(٣) الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم ١/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ، وينظر الكشف لمكي ١/ ٤٤٧.
(٤) سورة الأنعام من الآية : ١١٥ .
(٥) حجة القراءات لأبىٰ زرعة : ٢٦٨
(٦) سورة العنكبوت ، الآية : ٥٠.

ذلك ضياع لقراءة صحيحة قرأ بها النبي ﷺ وتواترت عنه ﷺ، كما في ذلك مخالفة لصريح رسم المصحف العثماني الذىٰ أجمع عليه الصحابة ﷺ، كما أنها لو رسمت بالتاء المربوطة لضاع المعنىٰ الذىٰ تحتمله قراءة الجمع أيضاً، فرسمت بالتاء المفتوحة لتحتمل القراءتين : الإفراد وهىٰ لابن كثير وشعبة وحمزة والكسائي وخلف، والجمع وهىٰ لبقية القراء. (١)

والمعنىٰ علىٰ كلا القراءتين كما يقول ابن أبي مريم : " والوجه ـ يعنىٰ علىٰ قراءة التوحيد ـ أن يكون المقترح آية واحدة فيكون ظاهراً ويجوز أن يكون المراد به آيات إلا أن اللفظ علىٰ الإفراد، والمعنىٰ علىٰ الجمع كما قال الله تعالىٰ ﴿... وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ...﴿٣٤﴾﴾ (٢) والمراد بنعم الله... ثم بين وجه قراءة الجمع قائلاً : والوجه أن الآيات جمع آية وإنما جُمعت لأن المشركين قد اقترحوا عليه آيات عدة(٣)، كما بينها في قوله تعالىٰ ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ (٤) .

ثالثاً : قوله تعالىٰ : ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ ...﴿٤٧﴾﴾ . (٥)

كلمة (ثمرات) رسمت في المصحف بالتاء المفتوحة وهىٰ من المواضع التىٰ استشهد بها نولدكه زاعماً أنها من المواضع المثيرة للجدل عما إذا كان المقصود هو المفرد أو الجمع ـ بينما هي لا تعدو كونها رسمت بالتاء المفتوحة؛ لتحتمل القراءتين الصحيحتين اللتين قرأ بهما رسول الله ﷺ ثم تواترتا عن

(١) ينظر : النشر ٢/ ٢٥٧ ، والاتحاف : ٤٤١ ، وشرح طيبة النشر للنويرىٰ ٥/ ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٢) سورة إبراهيم : ٣٤ .

(٣) الموضح في وجوه القراءات وعللها ٢/ ٩٩٥ ـ ٩٩٦ ، وينظر حجة القراءات لأبىٰ زرعة : ٥٥٢.

(٤) سورة الاسراء ٩٠ .

(٥) سورة فصلت : ٤٧ .

الصحابة والتابعين وتابعيهم إلىٰ يومنا هذا، ولو رسمت بالتاء المربوطة لما احتملت قراءة الجمع وذلك لأن التاء المربوطة لا يوقف عليها إلا بالهاء، فهذا المثال كسابقيه ورد فيه القراءة بالجمع وهىٰ لنافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر، وورد فيه القراءة بالإفراد وهىٰ لبقيّة القراء [(١)]، والقراءتان متقاربتان في المعنىٰ إلىٰ حد كبير جداً يقول ابن أبىٰ مريم : " والوجه ـ يعنىٰ علىٰ قراءة الجمع ـ أن المعنىٰ علىٰ الجمع لأنه لا تراد ثمرة واحدة بل جميع الثمرات فإذا كان المعنىٰ علىٰ الجمع وجب أن يكون اللفظ أيضاً جمعاً...، ثم وجه قراءة الإفراد قائلاً : والوجه أنها واحدة يراد بها الجمع لما في النكرة من معنىٰ الجنسية والعموم خصوصاً إذا كانت في النفي، فلما كانت عامة استغنىٰ بها عن لفظ الجمع، ويقوىٰ ذلك قوله " وما تحمل من أنثىٰ " علىٰ الوحدة "." [(٢)]

ويبين أبو زرعة حجة من قرأ بالجمع فيقول : " وحجتهم أنها مكتوبة في المصاحف بالتاء، وأخرىٰ أنه ليس يراد ثمرة دون ثمرة، وإنما يراد جميع الثمرات، ويقوىٰ الجمع قوله ـ تعالىٰ ـ ﴿... فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ...﴿٢٧﴾﴾ [(٣)]، وقرأ الباقون " من ثمرة من أكمامها" علىٰ واحدة لأن الثمرة تؤدىٰ عن الثمار لأنها الجنس، وحجتهم : قوله ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ ﴾ [(٤)] قالوا : كما أفرد أنثىٰ كذلك ينبغي أن يكون " من ثمرة " مفردة ويكون المارد أجناس الثمار، وكذلك " وما

(١) ينظر النشر ٢/ ٢٧٤ ، والإتحاف : ٤٨٩ .

(٢) الموضح في وجوه القراءات وعللها ٣/ ١١٣٥ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٦، والحجة في القراءات السبع لأبي علىٰ الفارسي ٦/ ١١٩ .

(٣) سورة فاطر من الآية : ٢٧ .

(٤) سورة فصلت من الآية : ٤٧ .

تحمل من أنثىٰ " ليس بواحدة، أنما هو أجناس الإناث، ويقوىٰ الإفراد أيضـاً قوله " من أكمامها "، قال أبو عمرو : ولو كانت " من ثمرات لكانت من أكمامهن ". [1]

وهكذا نجد التقارب الشديد بين القراءتين في المعنىٰ، وأن القراءة الأخرىٰ أثرت المعنىٰ ولم تختلف ولم تتعارض أبداً مع القراءة الأولىٰ.

فهل بقىٰ لدىٰ نولدكه أدنىٰ شك في صحة القراءتين وأنهما متواترتان، وأن الرسم علىٰ التاء المفتوحة يحتمل القراءتين جميعـاً.

المثال الثالث : حذف الياء والواو :

يقول نولدكه : (الغالب ألا يكتب حرفا المد الواو والياء إذا كان يلزم تقصير الحرف المتحرك بسبب الوصل اللاحق...) [2] إلىٰ آخره ثم أتىٰ بأمثلة حذفت منها الياء والواو في رسم المصحف.

حذف الياء

شكك نولدكه في هذا الأمر دون فهم منه للعلّة التىٰ من أجلها حذفت الياء.

وقد حذفت الياء في خمسة عشر موضعـاً من القرآن الكريم منها : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ[3] ﴾، ﴿ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ[4] ﴾ ﴿ نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ[5] ﴾، و﴿ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ[6] ﴾، و ﴿ وَادِ ٱلنَّمْلِ[7] ﴾.

ثم أتىٰ بأمثلة حذفت منها الواو أيضا علىٰ حد زعمه دون إدراك منه للعلة التىٰ حذفت لأجلها الواو من هذه الأمثلة، والأمثلة هي : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ[1] ﴾، و﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ[2] ﴾، و ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَـانِيَةَ[3] ﴾، و ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ ﴾.[4]

---

(١) حجة أبىٰ زرعة : ٦٣٧ و٦٣٨ ، وينظر شرح طيبة النشر للنويري ٥/ ٢١١ .

(٢) تاريخ القرآن تيودور نولدكه ٣/ ٤٦٦ .

(٣)سورة النساء ، الآية : ١٢٤ .

(٤)سورة الأنعام ، الآية : ٥٧.

(٥)سورة يونس ، الآية : ١٠٣.

(٦) سورة طه ، الآية : ١٢ ، القصص ، ٣٠ ، النازعات ١٦.

(٧) سورة النمل ، الآية : ١٨.

والغريب أن نولدكه في بداية حديثه عن هذه الأمثلة ذكر العلّة التىٰ من أجلها حذفت الواو والياء ليثبت بالدليل القاطع أن الهدف هو الطعن علىٰ رسم القرآن الكريم والتشكيك في نصّه فقط.

لنمعن النظر في قول نولدكه عن علة حذف الواو والياء يقول: " إذا كان يلزم تقصير الحرف المتحرك بسبب الوصل اللاحق ". (٥)

أقول لنولدكه ومن تبعه : نعم حذفت الياء هنا بسبب تقصير الحرف المتحرك بسبب الوصل وهو ما نسميه نحن ـ التقاء الساكنين ـ فحذفت الياء والواو من الأمثلة السابقة لئلا يلتقي حرفان ساكنان في الوصل فلو ثبتت الياء في نحو قوله تعالىٰ ﴿ يُؤۡتِ ٱللَّهَ ﴾ (٦) لاجتمع ساكنان هما الياء من (يؤت) واللام من لفظ الجلالة (الله) لأن ألف الوصل الواقعة في أول لفظ الجلالة لا ينطق بها حالة وصل كلمة (يؤت) بكلمة (الله) وإنما ينطق بها حالة الابتداء بلفظ الجلالة، إذن حذفت الياء في هذه المواضع التىٰ ذكرها نولدكه جميعـًا تخلصـًا من التقاء الساكنين وأيضـًا:

١ ـ بنوا فيها الخط علىٰ اللفظ إذ الخط نَقَلَ اللفظ كما هو.

٢ ـ اجتزؤا بالكسرة من الياء فحذفوها إذ الكسرة دالة عليها (٧) وهىٰ لغة عربية فاشية.

---

(١)سورة الإسراء ، الآية : ١١.

(٢)سورة القمر ، الآية : ٦ .

(٣)سورة العلق ، الآية : ١٨.

(٤) سورة الشورىٰ ، الآية : ٢٤.

(٥) نفس المصدر ٣/ ٤٦٦ .

(٦) سورة النساء ، الآية : ١٤٦.

(٧) ينظر المقنع للحافظ الداني : ٣٨ .

قال سيبويه " وأما حذف الياء التي قبلها كسرة فقولك: هو يرمِ الرجل، ويقضِ الحق، وأنت تريد يقضي ويرمي ". (١)

وقال الفراء :" وقوله : " يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ " (٢) كتب بغير الياء وهو فى موضع رفع، فإن أَثبتّ فيه الياء إذا وصلت القراءة كان صوابا. وإن حذفتها فى القطع والوصل كان صوابا. قد قرأ بذلك القرّاء فمن حذفها إذا وصل قال : الياء ساكنة، وكلّ ياء أو واو تسكنان وما قبل الواو مضموم وما قبل الياء مكسور فإن العرب تحذفهما وتجتزئ بالضمة من الواو، وبالكسرة من الياء وأنشد فى بعضهم :

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَـمًا ∴ جُودًا وأُخْرَىٰ تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّمَا(٣)

ومن وصل بالياء وسكت بحذفها قال : هىٰ إذا وصلت فى موضع رفع فأثبتها وهىٰ إذا سكتّ عليها تسكن فحذفتها. كما قيل : لم يرم ولم يقض. ومثله قوله : ﴿... مَا كُنَّا نَبْغِ ... ﴿٦٤﴾﴾ (٤) كتبت بحذف الياء فالوجه فيها أن تثبت الياء إذا وصلت وتحذفها إذا وقفت. والوجه الآخر أن تحذفها فى القطع والوصل، قرأ بذلك حمزة. وهو جائز. " (٥)

إذن فى بعض المواضع ستكتب مثل هذه الكلمات ٠ (واخشونىٰ) البقرة باقىٰ المصحف (واخشون)، و (المهتدىٰ) الأعراف بالياء وتحذف فى باقىٰ

(١) ينظر الكتاب ٤ / ١٥٧ ،
معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧ .
(٢) سورة هود من الآية : ١٠٥ .
(٣) البيت بدون نسبة في اللسان ١/ ٣٣٤ ، والخصائص ٣/ ٩٢ ، وتفسير الطبري ١٥ / ٤٧٩ ، و تفسير القرطبي ٩ / ٩٧ ، والدر المصون للسمين الحلبي ١ / ٢٤٨٥ ، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ١٠/ ٥٦٤ ، والشاهد فيه قوله : تعط حيث حذفت الياء اجتزاء باالكسرة قبلها علىٰ لغة بعض العرب .
(٤) سور الكهف من الآية : ٦٤ .
(٥) ينظر معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٧ .

المصحف (المهتد) لتدل علىٰ جواز الأمرين وللعل السابقة ومثلها (يؤت الله) سورة النساء بدون ياء و(يؤتىٰ الحكمة) البقرة بالياء وأشباهها.

وقال الزمخشريُّ : " والاجتزاءُ بالكسرة عن الياءِ كثيرةٌ في لغةِ هذيل ". [(١)]

ويقول الزجاج عند الحديث عن حذف الياء من كلمة " يأت " في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ... ﴿١٠٥﴾﴾ [(٢)] الذي يختاره النحويون: " يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه ". بإثبات الياء. والذي في المصحف وعليه القراء القراءة بكسر التاء من غير ياء. وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثِيراً. وقد ذكر سيبويه والخليل أن العربَ تقول لا أدْرِ فتحذف الياء وتجتزئ بالكسْرِ، إلا أنَّهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. والأجود في النحو إِثبات الياء والذي أراه اتباع المصحف مع إجماع القراء، لأن القراءة سنة، وقد جاء مثله في كلام العرب. " [(٣)]

نخلص من الكلام السابق إلىٰ أن حذف الياء وإثباتها لهجتان عربيتان نزل بهما القرآن الكريم ولا مجال لطعن نولدكه فيهما.

فمن كتب بحذف الياء فللعلل السابقة. ومن كتبها بالياء فعلىٰ الأصل ولجواز الأمرين.

يتفرع من حذف الياء ـ أيضا ـ التنوين العوض عن حرف الياء مثل(ناج ـ هاد ـ واق) أصلهم (ناجىٰ ـ هادىٰ ـ واقىٰ)

قال الحافظ أبو عمروالداني :" وكل اسم مخفوض أو مرفوع آخره ياء ولحقه التنوين فإن المصاحف اجتمعت علىٰ حذف تلك الياء بناءً علىٰ حذفها من اللفظ في حال الوصل؛ لسكونها وسكون التنوين بعدها وذلك في نحو قوله " غير باغ ولاعاد، ومن وال، ومن واق، وغواش، وليال، وبواد، وفي كل واد،

(١) الكشاف للزمخشري ٣ / ٢٣٦ .
(٢) سورة هود من الآية : ١٠٥ .
(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣ / ٧٧ .

ومستخف، وإلا زانٍ، ودان، ولأتٍ، وملاق، ومن راق " وشبهه. حدثنا بذلك محمد بن أحمد بن علي عن محمد بن القسم الأنباري وكذلك وجدنا في كل المصاحف " [١].

ويذهب أبو معاذ الجهيني الأندلسي إلىٰ أن العرب استثقلت الضمة علىٰ الياء فأزالوها؛ فاجتمع ساكنان الياء والتنوين فحذفوا الياء لالتقاء الساكنين. [٢]

الشرح

هادِيٌ _____ هادِيْنْ _____ هادِن ____ هادٍ

الخطوات

حذفت الضمة أولاً فصارت الكلمة آخرها بعد الياء الساكنة تنوين (وهو نون أصلاً) فيصير نطقا هكذا (هاديْنْ) فحذفت الياء تخلصاً من التقاء الساكنين (والساكنان هما الياء والتنوين) فصارت هكذا (هادِنْ) ولأن التنوين نون لا تكتب فعوضنا بحركة مماثلة فصارت (هادٍ)

تنبيه : النحويون يردون الياء المحذوفة وصلا يردونها فىٰ حالة الوقف فىٰ مثل هذه الكلمات لأن التنوين لما زال فىٰ الوقف ردّوا الياء[٣]. وقولهم لا يؤخذ به عند القراء إلا فىٰ كلمات معدودة مثل قراءة ابن كثير. [٤]

---

(١) المقنع للداني :٤٢ .

(٢) البديع فىٰ معرفة ما رسم في مصحف عثمان – رضي الله عنه – لأبي معاذ الجهيني : ٥٤ و ٥٥ .

(٣) السابق، وينظر إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٢٣٣ و ٢٣٤ ، وينظر قراءة ابن كثير في الإتحاف : ١٥٢ وما بعدها .

(٤) هذا بالإضافة إلىٰ ما في حذف الياء هنا من أسرارٍ ولطائفَ إذ إن لحذف الياء في هذه المواضع الخمسة عشر التي ذكرها نولدكه سرٌّ ومعنىٰ بيّنه من فتح الله عليهم من علمائنا – (وهو رأي لابد من ذكره في بعض المواضع من وجهة نظري ، والموقف يحتّم عليّ أن أظهره وأحترمه ، فأنا في موضع (المحامي) الذي يدافع عن الحقّ ولابدّ أن يجمع كل ما لديه من أدلّة توثّق وتؤكّد صدق كلامه . وأستعين بهذه الأسرار في بعض المواضع في الحواشي إن شاء الله) . ينظر أسرار حذف الياء في : عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل للمراكشي: ١٠٣: ١٠٥ ، والجلال والجمال د/ سامح القليني : ١٢٨ :١٨٤

وأنبّه علىٰ أن كلمة " يقض " التي استشهد بها نولدكه من قوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ [(١)] المراد بها في الآية " يقصّ الحق " وفيها قراءة أخرىٰ وهي التي استشهد بها نولدكه " يقض الحق " بالضاد المكسورة بدلا من الصاد المشددة المضمومة وهي لأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر ، وحذف الياء من هذه الكلمة جعل الرسم صالحاً للقراءتين معاً. [(٢)]

وأيضاً كلمة (هاد) التي استشهد بها نولدكه وهي في موضعي سورة النمل والروم

فقد ثبتت الياء من موضع سور النمل من قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [(٣)]

وحذفت في موضع سورة الروم من قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [(٤)].

يضاف إلىٰ ما ذكرناه من أسباب حذف الياء السابقة أن في هذين الموضعين قراءات متواترة وهي :

قرأ : حمزة بالتاء من فوق مفتوحة وإسكان الهاء بلا ألف فعلاً مضارعاً للمخاطبۡ " العمي " بالنصب مفعول به، والباقون بكسر الباء الموحدة وفتح

: ١٨٥ ، ورسم المصحف دراسة لغوية تاريخية د/ غانم قدوري الحمد : ٢٩١ : ٢٩٣ ، وإعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة محمد شملول : ١٢٩ .

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٧ .

(٢) ينظر القراءتان في النشر ٢ / ٢٥٨ ، والإتحاف : ٢٦٤ .

(٣) الآية :٨١ .

(٤) الآية : ٥٣ .

الهاء وألف مضافاً للعمي إضافة لفظية نحو ﴿بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ [1]، واتفقوا علىٰ الوقف بالياء علىٰ "بهادي" في النمل موافقة لخط المصحف الكريم، واختلفوا في الروم فوقف حمزة والكسائي بخلاف عنهما ويعقوب بالياء، أما حمزة فلأنه يقرؤها (تهدي) فعلاً مضارعاً مرفوعاً فياؤه ثابته. [2]

وأختم الحديث عن علّة حذف الياء في هذه المواضع بما ذكره الدكتور / غانم قدوري الحمد حول هذا الشأن حيث قال : " والبناء المقطعي للغة العربية يمنع وجود حركة طويلة متلوّة بصوت غير متحرك إلا في حالة الوقف وفي (باب دابة وما أشبهها) أي أن التركيب المقطعي (ص ح ح ص) ممنوع في اللغة العربية إلا في هاتين الحالتين المذكورين، فإذا ما حدث أن تكون مثل ذلك المقطع سواء عند تصرف الكلمة واتصالها بالضمائر أو عند وقوعها في السلسلة الكلامية بجانب كلمة أخرىٰ يصار إلي تقصير الحركة الطويلة في ذلك المقطع، فيتكون المقطع الأتي (ص ح ص) الشائع الاستعمال في اللغة العربية.

وقد أدرك علماء الرسم والقراءات وعلماء العربية هذه الظاهرة وأثرها في بناء كلمات اللغة فعقد سيبويه باباً سمّاه (باب ما يحذف من السواكن إذا وقع بعدها ساكن) ثم قال: " وذلك في ثلاثة أحرف الألف، والياء التي قبلها حرف مكسور، والواو التي قبلها حرف مضموم فأما حذف الألف فقولك رمي الرجل (ومعزي) القوم، ومنه أيضا رمت. وأما حذف الياء التي قبلها كسرة فقولك هو يرمي الرجل، ويقضىٰ الحق، وأما حذف الواو التي قبلها حرف مضموم فقولك

---

(١) سورة المائدة من الآية : ٩٥ .

(٢) ينظر النشر ٢ / ٢٣٩ ، والإتحاف : ٤٣١ و ٤٣٢ ، لطيفة ذكرها الدكتور / عبد العظيم المطعني عن حذف الياء في هذين الموضعين لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني د / عبد العظيم المطعني : ٥١ ، وينظر عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل : ٩٣ و ٩٤، والجلال والجمال : ١٠٩ و ١١٠ ، وإعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة لمحمد شملول : ١٢٩ .

يغزو القوم ويدعو الناس. وقال الفراء : " وكل ياء أو واو تسكنان وما قبل الواو مضموم وما قبل الياء مكسور فإن العرب تحذفهما وتجتزئ بالضمة من الواو وبالكسرة من الياء". ويقول الأزهري : " إن الألف اللينة والياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة إذا لقيهن حرف ساكن بعدهن سقطن كقولك : عبدالله ذو العمامة كأنك قلت ذل. وتقول رأيت ذا العمامة كأنك قلت ذل. وتقول مررت بذئ العمامة، كأنك قلت ذل، ونحو ذلك في الكلام أجمع". وأشار الإمام مكي إلي تلك الظاهرة بقوله : " أن تحذف الساكن الأول من كلمتين إذا كان حرف مد ولين، فتحذفه لالتقاء الساكنين، ويبقي ما قبله من الحركة يدل عليه، وذلك قولك : يقي الرجل، وقوا الرجل، وذا المال ". وإذا كان هناك ما يؤخذ علي كلام الأئمة هذا من تعبيرهم بالسواكن عن الحركات الطويلة واعتقادهم أن حرف المد واللين قد حذف وأن هناك حركة قصيرة قبله تدل عليه والحقيق أنه قد قصر ليتحول المقطع المديد المقف بصامت (ص ح ح ص) إلي مقطع طويل مقفل (ص ح ص) جريـًا علي عادة اللغة العربية في بناء مقاطع الكلام – فإن ملاحظتهم بعد ذلك صحيحة تمامـًا وتعبر عن اتجاه في النطق قد ترك له شاهداً وأثراً في الخط، فجاءت رموز الحركات الطويلة في آخر الكلمات غير مثبتة في كثير من المواضع في الرسم العثماني خاصة في درج الكلام، يقول الإمام أبو عمرو الداني: " وذلك من حيث عاملوا في كثير من الكتابة اللفظ والوصل، دون الأصل والقطع، ألا تري أنهم لذلك حذفوا الألف والياء والواو في نحو قوله " أيه المؤمنون".و "سوف يؤت الله " و " يدع الإنسان " وشبهه لما سقطن من اللغة لسكونهن وسكون ما بعدهن وبنوا الخط علي ذلك فأسقطوهن منه ". إن ظاهرة تقصير الحركات الطويلة إذا لقيت حرفـًا ساكنـًا غير متحرك تفسر لنا كثيراً من ظواهر حذف رموز الحركات الطويلة في الرسم العثماني، لأن الحركة

الطويلة إذا قصرت صارت حركة قصيرة والحركة القصيرة لم يكن لها – حينذاك – رمز في الكتابة وهذا يعني سقوط رمز الحركة الطويلة دون أن يخلفه شيء يشير إلي ما تبقي منها بعد تقصيرها.

وتجب ملاحظة أن هذه الظاهرة إنما تكون في الكلام المتصل حين تلتقي حركة طويلة في آخر كلمة بحرف ساكن في أول كلمة تتلوها، فكما كان للوقف أثر في تقصير أو حذف الحركات الطويلة فإن الوصل الكلام كذلك نفس الأثر في تقصير الحركات الطويلة، إلا أن ميل الكتاب إلي حذف رمز الكسرة الطويلة في حالة الوقف أكثر منه في حالة درج الكلام، فإذا كان ما حذف منه رمز الكسرة الطويلة في رؤوس الآي طلبًا للمجانسة سواء كانت ضمير مفعول أو للإضافة أو أصلية ثمانية وثمانين موضعًا – فإن ما حذف بسبب تقصير الكسرة الطويلة عند التقائها بساكن في درج الكلام لا يتجاوز الخمسة عشر موضعًا. فمن ذلك (النساء ٤/ ١٤٦) ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ و (يونس ١٠/ ١٠٣) ﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (طه ٢٠/ ١٢، والنازعات ٧٩/ ١٦) ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ و (الحج ٢٢/ ٥٤) ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ وَإِنَّكَ﴾ (النمل ٢٧/ ١٨) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ و(القصص ٢٨/ ٣٠) ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ (الصافات ٣٧/ ١٦٣) ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ و ق(٥٠/ ٤١) ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (القمر ٥٤/ ٥) ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ ﴿نُّطْفَةٍ﴾ ، والرحمن (٥٥/ ٢٤) ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ و (التكوير ٨١/ ١٦) ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ فالياء التي هي رمز الكسرة الطويلة محذوفة في جميع ذلك من الحظ.وإذا كان ما حذف من رمز الكسرة الطويلة في رؤوس الآي يشمل جميع المواضع التي جاءت فيها الكسرة الطويلة في مثل تلك المواضع – فإن ما حذف من ذلك بسبب استقبال الكسرة الطويلة لحرف ساكن لا يشمل جميع الأمثلة، بل جاءت الياء التي هي رمز الكسرة الطويلة ثابتة في الخط، رغم سقوطها من اللفظ بسبب استقبالها للحرف الساكن،

فمن ذلك (البقرة ٢/ ٢٦٩) ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ و (المائدة ٥/٥٤) ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ﴾ و (يونس ١٠/ ١٠١) ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ قَوْمٍ﴾ و (يوسف ١٢/٥٩) ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾ ، (والرعد ١٣/ ٤١) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ و(النحل ١٦/ ١٠٧) " ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ و(مريم ١٩/ ٩٣) ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ و (النمل ٢٧/ ٨١) ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ و(القصص ٢٨/ ٥٥) ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ و(المؤمن ٤٠/ ١٥) ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وإذا كانت رموز الحركات الطويلة تحذف من الفعل المضارع علامة علي وقوعه بعد أداة جزم فإن ما حذف من تلك الرموز في الأمثلة السابقة من مثل "يؤت الله، ننج المؤمنين، يناد المناد، فما تغني النذر" لم يكن علامة علي وقوعها بعد أداة جزم فهي في موضع الرفع، وإنما كان ذلك الحذف – كما بيّنّا – بسبب سقوطها في اللفظ فجري نساخ المصاحف العثمانية علي ذلك في الحظ دون أن يلتزموه في كل الأمثلة، لأن الكاتب يظل متردداً بين الالتزام بأصل رسم الكلمة وهي منعزلة عن السياق وبين الاستجابة لواقع نطقها وهي في درج الكلام المتصل." [(١)]

حذف الواو

استشهد نولدكه بحذف الواو أيضا من رسم المصحف وذكر المواضع الأربعة التي حذفت منها الواو الواو. وهي : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ [(٢)]﴾ ، و﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾[(٣)]، و ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[(٤)]، و﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ [(١)] ﴾

(١) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية د / غانم قدوري الحمد : ٢٩٠-٢٩٣.
(٢) سورة الإسراء ، الآية : ١١.
(٣) سورة القمر ، الآية : ٦ .
(٤) سورة العلق ، الآية : ١٨.

.وكان لحذفها في هذه المواضع الأربعة أيضـًا سرّ آخر يضاف إلىٰ علة التخلص من التقاء الساكنين، وبيان ذلك : يقول د / غانم قدوري الحمد : " فالأفعال (يدعو ويمحو وسندعو) أفعال مضارعة لم يقترن بها ما يحتّم جزمها وحذف رمز الواو منها، علامة لتقصير الحركة بسبب الجزم وإنما حذف رمز الضمة الطويلة بسبب ما أشرنا اليه من استقبالها للحرف الساكن وهو حرف اللام من الكلمات التالية لها، فقصرت وصارت ضمه قصيرة وليس للضمة القصيرة رمز حينذاك، فبنوا الخط علىٰ اللفظ وأسقطوا رمز الضمة الطويلة وذلك من حيث عاملوا فىٰ كثير من مواضع الكتابة اللفظ والوصل دون الأصل والقطع فيقول أبو بكر الأنباري : والعلة فىٰ هؤلاء الأربعة أنهم اكتفوا بالضمة من الواو فأسقطوها، ووجدوا الواو ساقطة من اللفظ لسكونها وسكون اللام فبنىٰ الخط علىٰ اللفظ.

ويبدو بعد هذا أن التعليل لسقوط الواو فىٰ هذه الامثلة الأربعة بالوقف عليها كما يذهب إلىٰ ذلك ابن جني ، أو أنها حذفت لأمن اللبس لأن ذكر الفاعل يمنع أن يكون الفاعل جماعة فلا يحصل اللبس، بخلاف قولك لا تضربوا الرجل، فإنه لو حذف لالتبس الجمع فيه بالواحد كما ينقل القلقشندي – غير صحيح وأغرب من ذلك وأكثر بعدا عن الصواب هو ما أشرنا إليه فىٰ فصل سابق من منهج أبي العباس المراكشي في تعليل هذا الحذف بالدلالة علىٰ المعاني المختلفة، وأن السر في حذف الواو من هذه الأربعة هو التنبيه علىٰ سرعة وقوع الفعل وسهولته علىٰ الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود ". [٢]

ويقول ابن الأنباري : " واعلم أن الواو ثابتة في كل فعل لم يدخل عليه ما يجزمه كقوله في سورة الرعد ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الوقف

(١) سورة الشورىٰ ، الآية : ٢٤.

(٢) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية د / غانم قدوري الحمد : ٣٠٠ .

علىٰ هذا (يمحو) لأنه في موضع رفع بالياء التي في أوله، علامة الرفع فيه سكون الواو، وذلك أنك تقول في النصب (لن يمحوَ)، وتقول في الجزم " لم يمح) فتجد الواو مفتوحة في النصب، ومحذوفة في الجزم، فإذا سكنت كان سكونها علامة الرفع.

وقد حذفت الواو من أربعة أفعال مرفوعة ، أولها : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ [1]﴾ ، الوقف عليه (ويدعُ) بلا واو، وكذلك و﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ [2] ﴾تقف عليه (ويمحُ) بلا واو. وهو في موضع رفع علىٰ الاستئناف، ولا يجوز أن يكون مجزوما علىٰ معنىٰ : " فإن يشأ الله يختم علىٰ قلبك ويمح " لأن الله تعالىٰ قد شاء أن يمحو الباطل، فقال تعالىٰ " ليحق الحق ويبطل الباطل " والحجة في هذا أنهم اكتفوا بالضمة من الواو، وأنشد الفراء :

إِذاهُ سِيمَ الخَسْفَ آلَىٰ بِقَسَمْ ∴ باللهِ لَا يَأْخُذُ إِلَّا مَا احْتَكَمْ [3]

أراد : إذا هو، فحذف الواو.

وقال أبو جعفر محمد بن سعدان : الوقف علىٰ قوله " ويمح الله الباطل " (ويمح) بلا واو لأنه نسق علىٰ الجزاء، وهذا لا يصح للعلة التي تقدمت.. والحرف الثالث ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ [4]﴾ ، تقف عليه (يدع) بلا واو، والحرف الرابع : و ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ [5]﴾، الوقف عليه (سندع)، والعلة في هؤلاء الأربعة : أنهم اكتفوا بالضمة من الواو فأسقطوها ووجدوا الواو ساقطة من اللفظ

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١١.

(٢) سورة الشورىٰ ، الآية : ٢٤.

(٣) البيت لخشّاف كما في اللسان ١٥ / ٤٧٦ ، وكذا في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣/ ٣٤٥ - ، ومعاني القرآن للفراء ١ / ٨٨ والمقنع : ٣٥ و ٣٦ .

(٤) سورة القمر ، الآية : ٦ .

(٥) سورة العلق ، الآية : ١٨.

لسكونها وسكون اللام فبنىٰ الخط علىٰ اللفظ. وحكىٰ الكسائي عن العرب : أقبل يضربه لا يأْلُ، أراد لا يألو، فاكتفىٰ بالضمة من الواو ". (١)

وأصل هذه الأفعال كما يقول الشيخ الزرقاني : " ويدعو الإنسان – ويمحو الله الباطل– يوم يدعو الداع – سندع الزبانية " ولكن من غير نقط ولا شكل في الجميع.

قالوا : والسرّ في حذفها من ﴿وَيَدعُ الإنسان ﴾ (٢) هو الدلالة علىٰ أن هذا الدعاء سهل علىٰ الإنسان يسارع فيه كما يسارع إلىٰ الخير.

والسرّ في حذفها من ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ (٣) الإشارة إلىٰ سرعة ذهابه واضمحلاله.

والسرّ في حذفها من ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ (٤) الإشارة إلىٰ سرعة الدعاء وسرعة إجابة الداعين.

والسرّ في حذفها من ﴿ سَنَدْعُ الزبانية﴾ (٥) الإشارة إلىٰ سرعة الفعل. وإجابة الزبانية وقوة البطش (٦)... ويجمع هذه الأسرار قول المراكشي: "والسرّ

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٢٦٧ – ٢٧٠ .

(٢) سورة الإسراء : من الآية : ١٨ .

(٣) سورة الشورىٰ: من الآية : ١٩ .

(٤) سورة القمر: من الآية : ٢٠ .

(٥) سورة العلق: من الآية : ٢١ .

(٦) وما أجمل الأسرار التي استخرجها د / عبد العظيم المطعني فقد أفاض الحديث حول المعاني حذف الواو في هذه الأفعال الأربعة وقد قتل بعد ذكره هذه المعاني :"وبهذا يتبين أن ما في رسم المصحف من خصوصيات إنما هي سمات رمزية في قوة الكلمات في الدلالة علىٰ المعاني المرادة منها ، وأنها ليست طرائق مختلفة لكتبة المصحف في صدر الإسلام وأن هذه الرموز مع معانيها التي تدل عليها وجوه الإعجاز القرآني لم تأخذ حقها من الدراسة والذيوع ، وأن القرآن ينبغي أن يظل علىٰ ما توارثناه جيلا بعد جيل من عصر الرسالة حتىٰ تقوم الساعة ." لطائف وأسرار وخصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف د / عبد العظيم المطعني :١٤ و١٥ و ١٦.

في حذفها سرعة وقوع الفعل وسهولته علىٰ الفاعل، وشدّة قبول المنفعل المتأثّر به في الوجود[١] ".

هذه هي الأمثلة التىٰ استشهد بها نولدكه وتلاميذه في مواضع حذف الياء والواو وهىٰ كما قلنا لا تخرج عن كونها حذفت موافقة لأحد اللهجات العربية، أو لتحتمل جوه القراءات الموجودة بها ، أو للتخلص من التقاء الساكنين وهو اجتهادٌ من كتّاب المصاحف ﷺ توافقًا مع المنطوق، أو لأن حذف الياء والواو إنما جاء لبيان معنىٰ، أو لسر آخر من الأسرار التي استأثر الله ﷻ بها وفتح الله علىٰ بعض علمائنا ولو باليسير منها علىٰ ما بيّنته آنفًا.

المثال الرابع : حذف الألف من " أيها " :

من الأمثلة التىٰ استشهد بها نولدكه أيضًا في هذا المبحث ما ذكره من حذف الألف حيث ذكر أن الألف تحذف من رسم المصحف أحيانًا في لفظ " أيّها " فقط وذلك قبل التعريف.

وفي الحقيقة هذا الاتهام كسابقه عار عن الصحة تمامًا ومرفوض جملة وتفصيلاً، وذلك لأن حذف الألف هنا عبّر عن لهجة عربية خالصة، وتوافق مع بعض القراءات الصحيحة، كما أن حذف الألف هنا جاء تخلصًا من التقاء الساكنين أيضًا وسيتضح من خلال السطور القادمة.

المواضع التىٰ حذفت منها الألف في رسم المصحف من كلمة " أيها " هي :-

الأول : ﴿ وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾. [٢]

الثاني : ﴿ وَقَالُوا يأيه السَّاحِرُ ﴾. [٣]

---

(١) مناهل العرفان ١ / ٣٧٤ و٣٧٥ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٣١ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٤٩ .

الثالث : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثقلان﴾. [1]

أما أن حذف الألف هنا عبر عن لهجة عربية هي لغة أسد، فقد قال ابن هشام : " ويجوز في هذه في لغة بني أسد أن تحذف ألفها وأن تضم هاؤها إتباعاً وعليه قراءة ابن عامر / أيهُ المؤمنون / / أيهُ الثقلان / / أيهُ الساحر / بضم الهاء في الوصل والرابع اسم الله تعالىٰ في القسم عند حذف الحرف يقال ها الله بقطع الهمزة ووصلها وكلاهما مع إثبات ألف ها وحذفها "[2].

كما أن الألف حذفت من كلمة : (أيّها) في المواضع الثلاثة للتخلص من التقاء الساكنين توافقا مع النطق إذ لو رسمت الألف في المصحف لالتقىٰ ساكنان هما الألف التىٰ بعد الهاء من " أيها " واللام الساكنة في نحو " المؤمنون " لأن همزة الوصل هذه لا تنطق حال الوصل.

يقول د / غانم قدوري الحمد: " كلمة (أيّها) التىٰ وردت فىٰ كل مكان فىٰ المصحف بإثبات الالف إلا ثلاثة مواضع، فإن الألف فيها محذوفة فىٰ سورة النور (٢٤) " أيه المؤمنون " وفىٰ الزخرف(٤٩) " يأيه الساحر" ، وفىٰ الرحمن (٣١) " أيه الثقلان" وحين نتأمل نطق الفتحة الطويلة فىٰ " أيها " فىٰ درج الكلام فىٰ هذه الأمثلة نجد أنها تتأثر بظاهرة كراهة الاحتفاظ بحركة طويلة فىٰ مقطع مقفل، والتي تعرضنا لبيان أثرها فىٰ حذف رمز الكسرة والضمة الطويلتين من قبل، فقد استقبلت الفتحة الطويلة فىٰ آخر كلمة (أيها) اللام الساكنة التىٰ تليها، فاضطر الناطق إلىٰ تقصير الحركة الطويلة، فآلت إلىٰ الفتحة القصيرة، فبنىٰ الكاتب الخط علىٰ اللفظ فىٰ هذه المواضع الثلاثة، فحذف رمز القصيرة فبنىٰ

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٣١ .

(٢) مغني اللبيب لابن هشام : ٤٥٦ ، وينظر اللسان ١٥ / ٤٧٩ ، وتاج العروس ٤٠ / ٥٣٥، وتهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ٦/ ٢٦٢ .

الكاتب الخط علىٰ اللفظ فىٰ هذه المواضع الثلاثة ، فحذف رمز الألف لذلك علىٰ نحو ما بينا ذلك فىٰ الضمة والكسرة الطويلتين فىٰ مثل هذه الحالة ". (١)

كما أن الألف حذفت من هذه الكلمات لتكون موافقة لقراءة حذف الألف فـ " أيها " في المواضع الثلاثة قرأها ابن عامر بضم الهاء وصلاً لأن الألف لما حذفت للساكنين استحقت الفتحة علىٰ حرف خفي فضمت الهاء اتباعـًا للياء، وقرأها بالألف وقفـًا علىٰ الأصل أبو عمرو والكسائي ويعقوب، وقرأها الباقون بحذف الألف مع سكون الهاء اتباعـًا للرسم (٢)، أما من ناحية توجيه هذه القراءات.. فيقول أبو زرعة : " قرأ ابن عامر " أيه المؤمنون " (النور ٣١) بضم الهاء وكذلك ﴿ أيه السَّاحِرُ ﴾، و﴿ أَيُّهَا الثقلان﴾ وهذه لغة وحجته أن المصاحف جاءت في هذه الثلاثة بغير ألف قال ثعلب : كان من يرفع الهاء يجعل الهاء مع " أي " اسمـًا واحداً علىٰ أنه اسم مفرد. وقرأ الباقون : بفتح الهاء فيهن، وأبو عمرو والكسائي يقفان عليها بالألف لأنها إنما سقطت لسكونها وسكون لام المعرفة، فإذا وقف عليها زال التقاء الساكنين فظهرت الألف، فلا وجه لحذفها في الوقف ". (٣)(٤)

وهكذا تبين لنا أن الألف التىٰ حذفت من كلمة " أيه " في المواضع الثلاثة جاءت لعلة مرتبطة بالمعنىٰ أيضا بالإضافة إلىٰ أن حذف الألف كما أسلفنا جاء تخلصـًا من التقاء الساكنين وليكون متوافقـًا مع القراءات القرآنية الواردة في

---

(١) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية : ٣١٢ .

٢) النشر ٢/ ١٠٦ ، والاتحاف : ٤١ .

٣) حجة القراءات لأبىٰ زرعة : ٤٩٧ و٤٩٨ ، وينظر الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم ٢/ ٩١٢ و٩١٣ ، والكشف لمكي ٢/ ١٣٦ و١٣٧ ومغنىٰ اللبيب ٢/ ٣٤٩ .

٤) أما من ناحية المعنىٰ فكل موضع من المواضع الثلاثة حذفت فيه الألف من الرسم دلّ علىٰ لطيفة ومعنىٰ . ينظر عنوان الدليل للمراكشي : ٧٤ ، ٧٥ ، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

الكلمة، هذا إذا افترضنا أن كل كلمة رسمت بطريقة معينة في المصحف لها علّه، وإن كنا نميل إلىٰ أن كتابة المصحف بطريقة معينة تخالف في أغلبها الكتابة الإملائية لعلها ترجع إلىٰ إفراد رسم المصحف وعدم تشابهه بشيء آخر لقداسته، وأيضا فإن الصحابة ﷺ خصّوا كتابة المصحف بعناية خاصة، أيضاً فإن أكثر الكلمات القرآنية المرسومة بطريقة معينة استنبط بعض العلماء لها علّة وهذا فتح من الله عليهم.

بعد هذا العرض لبعض النماذج التي استشهد بها نولدكه والتي ادّعىٰ افتراء وكذباً أنها أخطاء وقعت في نص القرآن الكريم وفي ألفاظ مخصوصة منه وهو ما لم يحدث أبداً – علىٰ ما بيناه –

المثال الخامس: رسم التنوين علىٰ شكل حرف النون في كلمة "كأين "

من أمثلة ما استشهد به نولدكه وتلاميذه : رسم التنوين علىٰ شكل حرف النون في كلمة " كأين " بمعنىٰ (كأين) أو (كائن) :هو هنا يطعن أيضاً في رسم المصحف كعادته والطعن هنا خاص بكلمة " كأين " لماذا رسمت بالنون بدلا من التنوين ؟ هو يتعجب من ذلك لكن هذا المستشرق لم ينتبه أبداً ولم يدرك أن التنوين رسم هنا نوناً ليكون رسم الكلمة متوافقا مع القراءة الصحيحة المتواترة عن النبي ﷺ في كلمة (كأين) فقد وقف أبو عمرو ويعقوب علىٰ كلمة " كأين " علىٰ الياء هكذا : " كأيّ " وحذف التنوين ، ووقف باقي القراء العشرة علىٰ كلمة " كأين " بالنون [1]، كما أن ابن كثير وأبا جعفر قرآها " كائن "، وكل هذه القراءات الموجودة في هذه الكلمة هي

(١) النشر ٢/ ١٠٧ ، والاتحاف : ١٤١ و١٤٢ .

لهجات ولغات من لغات العرب ما يدل علىٰ أن رسمها بهذا الشكل جاء توافقا مع هذه اللغات التي تقف علىٰ هذه الكلمة بالنون. (١)

إذن رسمت كلمة " كأين " بالنون لتوافق قراءة من يقف بالنون (٢)، ولو رسمت علىٰ الأصل أي بدون نون ورسمت تنوينًا لما أمكن الوقف عليها إلا بحذف النون فتضيع بذلك قراءة من يقف بالنون.

وقد يسأل سائل أين التحقق من شرط موافقة الرسم عند من يقف عليها بالياء ؟

فنقول : إن شرط موافقة الرسم قد تكون تحقيقية أو تقديرية أو احتمالية وهىٰ هنا موافقة تقديرية.

ثم إنه أحيانًا تكتب الكلمة في لغتنا علىٰ مراد الوصل دون الوقف وهو ما حدث مع لفظ (كأين) أصلها (كأىٰ) فالأصل أن ترسم بالياء أصلاً لكننا حالة الوصل ننطق تنوينا فرسمت علىٰ مراد الوصل

المثال السادس: المقطوع والموصول

انتقل نولدكه وتلامذته في هذا المبحث إلىٰ أمثلة ما يعرف عندنا بالمقطوع والموصول، وقد تدهورت الحالة لديه حيث ادّعىٰ أنه لا يوجد قانون ثابت في رسم القرآن وأن كثيراً من المواضع مرتبك علىٰ حد زعمه وبدأ يضرب أمثلة من المقطوع والموصول نحو : " ممّن " " مِمّا " ويقول " ممّا " لكن ٣ مرات " من ما "، و " عَمّن "، ولكن مرتين " عَنْ مَنْ ".... الخ (٣).

---

(١) في بيان أصل هذه الكلمة وأن رسمها بهذا الشكل يتوافق مع كونها لهجة ولغة من لغات العرب ينظر اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ٥/ ٥٧٩ وما بعدها بتصرف ، والتبيان في اعراب القرآن للعكبري ١/ ٢٩٨ ، وتفسير الكشف والبيان للثعالبي ٣/ ١٨٠ .

(٢) ينظر توجيه القراءتين في حجة القراءات لأبىٰ زرعة : ١٧٥ ، والموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم ١/ ٣٨٥ .

٣) تاريخ القرآن لنولدكه ٣/ ٤٦٧ وما بعدها .

تفنيد ادّعاءه :

دائماً ما ينسىٰ نولدكه أن الرسم العثماني له خصوصياته التىٰ تميز بها دون غيره من الرسوم والكتابات وذلك لأنه توقيفي من لدن رسول الله إلىٰ يومنا هذا وحافظ الصحابة ﷺ علىٰ هذا الرسم دون إجراء أي تعديل أو تغيير فيه ومن ثم حافظ عليه التابعون والذين جاءوا بعدهم، وذلك تحقيقاً لوعد الله ﷻ بحفظ كتابه لفظاً وخطّاً دون المساس بحرف واحد منه.

وخلاصة ما يمكن أن يقال عن توجيه الكلمات المقطوعة والموصولة في رسم المصحف : -

١ ـ " أن لا " " ألّا " مثلاً من كتبها بالنون (أن) مقطوعة عما بعدها فعلىٰ الأصل ومن كتبها موصولة فإنه يذهب إلىٰ أن النون ليست ظاهرة فىٰ اللفظ فلا تظهر فىٰ الكتابة لأنها مدغمة فلا أثر لها فىٰ النطق. وهذا ينطبق علىٰ ما فيه حرف مدغم. وسمّاه الحافظ الداني (ما رسم في المصاحف من الحروف المقطوعة علىٰ الأصل والموصولة علىٰ اللفظ). [١]

٢ ـ كل ما فصل فعلىٰ الأصل مثل (إن لا) وكل ما وصل فعلىٰ الاختصار والاستخفاف. قاله الكسائىٰ. [٢]

٣ ـ ليس بين هذه الحروف التىٰ وصلت والتىٰ قطعت فرق يوجب التفرقة بينهما ولكن هكذا كتبت فىٰ المصاحف.

٤ ـ فىٰ الكثير يراعىٰ الكتبة اللفظ والوصل دون الأصل والقطع وقد يستعملان فىٰ الرسم للدلالة علىٰ الجواز. [٣]

وعن علل رسم بعض الكلمات مقطوعة في مواضع وموصولة في مواضع أخرىٰ يقول الدكتور / غانم قدوري الحمد بعد أن ذكر أمثلة لمجموعتين : الأولىٰ : ما

---

١) المقنع ١/ ٧٣ .

٢) البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان- رضي الله عنه – لابن معاذ الجهيني : ٢٠.

٣) السابق٢٠ : ٣٠ .

اتصل رسمه بسبب التأثر الصوتي، والثانية : ما وصل من الكلم من غير وجود تأثر صوتي. يقول : " إن تأمل أمثلة كل من هاتين المجموعتين يقفنا علي أهم العوامل التي تجعل الكتاب يصلون بعض الكلمات المكونة من مقاطع قليلة ببعض، ففي المجموعة الأولي نجد أن التقاء النون ساكنة في آخر كلمة مع صوت آخر مقارب لها في المخرج في أول كلم ثانية يؤدي إلي أن تتأثر النون بذلك الصوت، وقد يصل ذلك التأثر إلي درجة الادغام التام، أي تحول النون إلي جنس الصوت الثاني فيجد الكاتب نفسه حينئذ بين الاستجابة لواقع النطق فيصل الكلمتين وبين أن يحفظ لكل كلمة أصل رسمها، وقد قال ابو بكر الانباري وهو يتحدث عن قطع ووصل (أن لا) : " فالمواضع التي كتبت فيها مقطوعة كتبت علي الأصل، لأن الأصل فيه (أن لا) والمواضع التي كتبت فيها موصولة بني الخط علي الوصل لأن الوصل فيه (أن لا) فأدغمت النون في الكلام لقرب مخرجها منها، وذلك أن من الفم أحد عشر مخرجاً المخرج الخامس منها للام والسادس للنون، فلما اندغمت النون في اللام صارتا لاما مشددة وبني الخط علي اللفظ " ويقول ابن درستويه : " فكان كتاب حرف أخف عليهم من كتاب حرفين، كما كان النطق بحرف مدغم أخف من النطق بحرفين مضاعفين "، ومثل (أن لا) في علة ورودها مرسومة بالوصل (من ما – من من – عن ما – إن ما – إن لم – أن لن – أم من).

أما رواية الفراء وصل (منذ) في حالة الاستفهام فلعل ذلك ناتج أيضا من تأثر النون بالصوت الذي بعدها، حيث أنها تخفي قبل الذال فربما أحس الكاتب بذلك التأثر وربما انضاف إلي صغر حجم الكلمتين فوصلهما كذلك يبدو أن علة وصل (إن جاءكم) في مصحف طشقند هو ما أصاب النون من الخفاء قبل الجيم، وقد مر في بحث رموز الصوامت ما ذهب إليه بعض العلماء من حذف رمز النون في مثل (ننجي المؤمنين) بسبب خفائها. ولكن ظاهرة إخفاء النون مع بعض الحروف لم تظهر في الكتابة إلا في هذه الأمثلة المحدودة – إن صح هذا المذهب - ولعل الكتاب لم

يلتفتوا إلي ظاهرة خفاء النون في بعض المواضع لعدم ذهابها في اللفظ كما يحدث في الإدغام.

أما أمثلة المجموعة الثانية فليس سبب وصلها في بعض المواضع دون بعض هو تأثر الأصوات فيها لعدمه ويبدو أن السبب الأساسي في ذلك هو كون هذه الكلمات قليلة المقاطع فتميل إلي الاتصال بغيرها كما جاءت الكلمات ذات الحرف الواحد متصلة بغيرها وربما كان للمعني أو الموقع النحوئ للكلمة أثر في اتصالها وانفصالها.

ولعل وصل (بئسما) أوضح مثال وأدل من غيره علي أن سبب وصل بعض هذه الكلمات هو قلة عدد مقاطعها فهي تميل إلي الاتصال بما يجاورها متي وجدت فرصة لذلك، وقد اتصلت (ما) بكلمة (بئس) حين جاءت الأخيرة مجردة، ولكن حين استطاعت باتصال اللام بها نجد أن (ما) تنفصل في الكتابة وترسم هكذا (لبئس ما) وليس ذلك مقصورا علي اللام، فحين تتصل الفاء ببئس تحدث نفس الظاهرة من انفصال (ما) عن بئس كما مر بيان ذلك. ويبدو أن اتصال (ما) بحرف الجر (في) واتصال (لا) بـ (كي) قد كان سبب قلة حروف هذه الكلمات، فمال الكتاب إلي جمعها في كلمة واحدة.

أما اتصال (ما) بكل أو أن أو أن أو أين فقد ذهب علماء العربية إلي أن (ما) إذا كانت موصولة أي بمعني (الذي) كتبت مفصولة وإذا كانت غير ذلك وصلت لأنه كثر استعمالها مع هذه الأشياء حتي صارت كأنها منها فوصلت بها.

ويبدو أن هذه القاعدة التي توصل إليها علماء العربية بشأن وصل (ما) أو فصلها من الكلمات المذكورة كانت نتيجة استقراء ناقص للأمثلة الواردة في الرسم العثماني، أو أنهم أهملوا أصل استعمال العرب الأول لذلك في الكتابة، أو أنهم علي عادتهم في استبعاد الأمثلة التي لا دخل تحت القاعدة العامة أهملوا الأمثلة التي لا تنطبق عليها القاعدة وذلك لأن الأمثلة التي يقدمها الرسم لا تشير إلي أن كتبه المصاحف كانوا يتحرون فصل (ما) التي بمعني الذي ووصل ما عداها فلو كان ما يقوله النحاة دقيقا لما وجدنا (ما) موصولة في مثل قوله تعالي في الأنفال (٨/ ٤١) ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا

غَنِمْتُم) ومفصولة في النساء (٤/ ٩١) ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى وغير ذلك من الأمثلة التي تشير إلي أن كتبة المصاحف لم يكونوا ينظرون إلي معني (ما) لكي يصلوها أو يفصلوها.

لكن ذلك لا ينفي ان يكون لمعني الكلمة او موقعها في الجملة اثر في وصلها او فصلها- في بعض المواضع – ويظهر ذلك من فصل الضمير (هم) في قوله سبحانه في المؤمن (٤٠/ ١٦) ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ وفي الذاريات (٥١/ ١٣) ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ فقد قال الداني (هم) منهما في موضع رفع بالابتداء وما بعده خبره فلذلك فصل (اليوم) عنه وهم فيما عداها خفض بالإضافة فلذلك وصل (اليوم) به. نحو قوله (الأعراف٧/ ٥١) ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ وما أشبه ذلك.

وهكذا فإن الضمير (هم) حين يكون في محل رفع فإنه ينفصل في الكتابة عما قبله مكونا كلمة مستقلة، دون ما كان في محل جر أو نصب ولذلك جاء في قوله (المطففين٨٣/ ٣) ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ موصولاً في الموضعين من غير الف بعد الواو. إذ لو كانت هناك الف بعد الواو لدل ذلك علي الانفصال.

أما وصل (يا ابن ام) فقد كان ذلك- علي ما يبدو – بسبب نطق هذه الكلمات في سياق متصل، إلي جانب صغر حجمها، وقد بيّنّا أصل صورة " يبنؤم" من قبل ومثل ذلك أيضـًا (يومئذ) وما أشبهه.

أما فصل لام الجر في الأربعة المواضع المشار إليها فقد تحدث الفراء عن فصلها في سورة (النساء ٤/ ٧٨) ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ فقال : كثرت في الكلام حتي توهموا أن اللام متصلة بـ (ما) وأنها حرف في بعضه. وقد يكون ذلك أثراً قديما لظاهرة انفصال رموز الكلمة الواحدة وقد يكون راجعـًا إلي طبيعة الحرف الذي يسبق اللام وهو (ما) في الأمثلة الأربعة حيث يكّون معها شكل كلمة واحدة.

وينقل الداني أن معلي بن عيسي الورّاق قال : كنا إذا سألنا عاصمـًا (الجحدري) عن المقطوع والموصول قال: سواء لا أبالي أقطع ذا أم وصل ذا، إنما هو هجاء، ويعقب الداني علي ذلك بقول " وأحسبه يريد المختلف في رسمه من ذلك دون المتفق علي رسمه منه ".

ومهما يكن من شيء، فإن موقف عاصم الجحدري (ت ١٢٨) من الكلمات التي جاءت موصولة مرة ومفصولة أخرىٰ ينفي فكرة فصل (ما) عندما تكون موصولة (بمعني الذي) ووصلها عندما تكون غير ذلك فعاصم هذا كان من أئمة علماء الرسم كما كان من أوائل علماء العربية ولم يكن من اليسير غياب هذه الملاحظة عنه لو كانت تمثل اتجاها معروفا عند الكتاب ولكن يبدو أن علماء العربية في فترات لاحقة حرصا منهم علي وضع قواعد محددة ذهبوا ذلك المذهب.

ومع ذلك فإن مذهب عاصم لا ينبغي إطلاقه في فهم وصل الكلمات المحدودة المقاطع أو فصلها إذ أن الفصل والوصل ربما كان في بعض المواضع ذا دلالة نحوية مثل ما رأينا في فصل (هم) في " يوم هم بارزون" ووصلها في " لقاء يومهم هذا" إلي جانب ذلك فإن كثيرا من تلك الكلمات المعدودة الحروف قد استقرت في الكتابة علي أسلوب معين وفي ورودها في التركيب كذلك فكلمة (قد) تفصل دائما بينما نجد (أل) التي للتعريف توصل دائما، مع أن المبرد وهو يتحدث عن (أل) قد قال : " وزعم الخليل إنها كلمة بمنزلة (قد) تنفصل بنفسها وأنها في الأسماء بمنزلة (سوف) في الأفعال لأنك إذا قلت جاءني رجل فقد ذكرت منكوراً فإذا أدخلت الألف واللام صار معرفة معهوداً".

ويبدو أن كثيراً من تلك الكلمات قد حدد استعمال الكتاب لها طريقة معينة فىٰ كيفية ورودها فىٰ السياقات استنادا إلىٰ الواقع اللغوىٰ أحيانـًا واعتماداً علىٰ طبيعة الرموز التىٰ تتكون منها الكلمة فىٰ أحيان أخرىٰ. "[1].

(١) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية د/ غانم قدوري الحمد : ٤٥٦ – ٤٦١ .

وهناك من الأسرار والمعاني والدلالات التىٰ توضح أن هذه الكلمات كتبت في بعض المواضع مقطوعة لغرض ما وكتبت في مواضع الأخرىٰ موصولة لتدل علىٰ أمر ما وقد تفنّن علماؤنا في بيان أسرار ولطائف المقطوع والموصول في القرآن الكريم. [١][٢] وأقول لنولدكه : هذا كلام مرفوض منك ومن غيرك وما ادّعيته باطل وهو افتراء محض، فالقرآن الكريم نقل إلينا بجميع ألفاظه وحروفه وكلماته علىٰ الصفة التي كانت بين يدي الرسول ﷺ، ونص المصحف ورسمه لم يتغير ولم يتطرق إليه أي خطأ كما تعتقد بل ظل محفوظًا متواتراً جيلاً بعد جيل من لدن رسول الله ﷺ مروراً بالصحابة والتابعين إلىٰ أن يقوم الناس لرب العالمين.

١) في نظر بعض العلماء جاء القطع والوصل في الرسم العثماني للمصحف الشريف تبعًا للمعاني الواردة في الآيات وموافقًا له ، وقد استخرج علماؤنا أسرارا ومعاني لهذه الكلمات التي رسمت مقطوعة في بعض المواطن وموصولة في بعضها الآخر ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أفردوا هذا النوع من الرسم بالتصنيف .منهم الدكتور عبدالعظيم المطعنىٰ ـ رحمه الله ـ في كتابه خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف والذىٰ نشره في مجلة منبر الاسلام ـ العدد ٩ رمضأن١٤٢١هـ ـ ديسمبر ٢٠٠٠م . ينظر لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف د/ عبد العظيم المطعني : ١٢٩: ١٣١، وينظر الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن الكريم د/ سامح القليني٢٨٠ : ٢٢٦ .

٢) في بيان بعض أسرار ولطائف المقطوع والموصول في رسم المصحف ينظر : لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف د / عبد العظيم المطعني : ١٣٠ و ١٣١ ، والجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن الكريم د / سامح القليني : ٢٨١ : ٢٨٣ ، وأقول لنولدكه : إنه علىٰ الرغم مما تميز به الرسم العثماني من خصوصيات لكن فتح الله- عز وجل - علىٰ علمائنا بهذا الكم الهائل من الأسرار والمعاني واللطائف التي أضافت رونقا جميلا للرسم العثماني الذي يحمل بين جنباته العديد والعديد من الأسرار التي استنبطها وسيستنبطها علماؤنا بحوله إلىٰ أن يقوم الناس لرب العالمين ، ما يدلل علىٰ إعجاز القرآن بل علىٰ إعجاز الرسم القرآني .

الخاتمـــة

الحمد لله الذي أنعم عليّ بالتوفيق لإكمال هذا البحث " نظرة المستشرق نولدكه وتلاميذه إلىٰ رسم وضبط المصحف الشريف دراسة نقدية "، ومن خلال تتبع الادّعاءات التي أثارها تيودور نولدكه وتلاميذه في الجزء الثالث من كتابه (تاريخ القرآن) وتفنيد هذه الادّعاءات وبيان عدم صحّتها بالأدلة الواضحة والبراهين الساطعة توصلت إلىٰ عدة حقائق ونتائج، أهمها:

أولا: أن الرسول ﷺ لم يستنسخ أو يطبع نسخـًا كثيرة من القرآن الكريم، وإنما طبع مئات بل ألوفـًا من نسخ القرآن الكريم، ولكن علىٰ صفحات القلوب بكلمات من نور الوحي، فأخرج جيلاً قرآنيـًا فريداً بعقيدته وشريعته وأخلاقه وآدابه.

ثانيـًا: لقد حرص المعلم المربي سيدنا محمد ﷺ في هذه المرحلة – مرحلة بدء الدعوة – علىٰ توحيد مصدر التلقّي وتفرده، ألا وهو القرآن العظيم، فكان الصحابة ﷺ يتلقّون القرآن العظيم في مدرسة سيدنا محمد ﷺ وينصرف أحدهم بزاد حصيلته بضع آيات من القرآن نزل بها روح القدس علىٰ قلب سيدنا محمد ﷺ، فكانت كفيلة أن تنشئ هذا الجيل القرآني الفريد الذي ينزع بهذه الآيات كل أوطار الجاهلية وعقائدها وقيمها، وتنسكب في قلبه المعاني الآتية من الله رب العالمين.

ثالثـًا: مع أن النبي ﷺ كان أميّـًا– وأميّته فضيلة ودليل صدق علىٰ نبوته– وبعث في أمة أمية صدورها سجلات حياتها فقد عوضها الله تعالىٰ عن القراءة والكتابة بصدور حفظت للأمة كل ما روي عن رسول الله ﷺ من مرويات، سواء ما كان متعلقا بالوحي المكتوب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أو غير المكتوب عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوىٰ، الذي أضاف إلىٰ جمع القرآن في الصدور للتأكيد علىٰ كتابته في السطور ولعل هذا يشير إلىٰ بعض سر تسمية كلام الله بالقرآن وبالكتاب.

رابعـًا: لقد استبان مدىٰ ضعف غالب الروايات التي اعتمد عليها نولدكه وتلاميذه والتي كان يتمسك بها ويكرّرها في كثير من الأحيان ليثبت في الأذهان صحتها. لكن لم يتحقّق له مراده، فبعد التمحيص والنظر الدقيق في هذ المرويات وتتبعها سنداً ومتناً تبيّن أنها ضعيفة، أولا أصل لها

خامسـًا : حديثه عن رسم المصحف وعن الكلمات المختلفة في الرسم ينبئ عن أنه نظر إليها سطحيـًا فقط دون إدراك منه لقواعد الإملاء والتي لها خصوصياتها التي يعرفها أصحابها فقط، فما حدث من كتابة كلمة علىٰ شكل معيّن في موضع ثم كتابة نفس الكلمة علىٰ شكل آخر في موضع آخر، وما حدث من زيادة حرف في كلمة ثم نقصانه في نفس الكلمة في موضع آخر كل هذا له أسبابه ومبرّراته وتوجيهاته السديدة وربما أسراره علىٰ النحو الذي بيّنته بفضل الله وكرمه.

سادسـًا : أن الاستشراق له أهدافه سعىٰ ويسعىٰ من أجل تحقيقها وفي صدارتها أبعاد الربانية والإلوهية عن هذه الدين "الإسلام" وما هو إلا دين مخترع فجيشوا لذلك وأعدوا العدة وما هي في الحقيقة إلا أوهام واهية أصلها أحقاد تاريخية مخيفة.

سابعـًا : أنَّ علماء المسلمين نذروا أنفسهم للدفاع عن هذا الدين وردوا بحكمة يَحذوها العلم والتبصر مؤدّين واجبهم في العمل من أجل دينهم علىٰ أتمّ وجه. وينبغي لطلبة العلم أن يسيروا علىٰ خطاهم.

ثامنـًا: أن مدرسة نولدكه وتلاميذه هي مدرسة استشراقيه ماكرة أرادت أن توهم أن القرآن الكريم لم يكن كاملاً وأنه احتوي علىٰ بعض الأخطاء اللغوية وأن القراءات القرآنية نشأت عن طريق الرسم وليست عن طريق التواتر الذي لم يعترف به نولدكه أبداً.

تاسعاً : ضخامة الإنتاج الاستشراقي والدعم المادي الهائل له من قبل الحكومات الغربية ممثلة بالمؤسسات التبشيرية والمراكز العلمية وعلىٰ رأسها الجامعات الغربية.وفي المقابل عدم الالتفات لهذا النتاج الاستشراقي من قبل المسلمين وخاصة مؤسساتهم التعليمية والمراكز الإسلامية، لذا نجد هذه الكتب الاستشراقية لم تترجم من لغاتها إلىٰ اللغة العربية وهي أكبر مشكلة تواجه علماء المسلمين إذا أرادوا التصدي لها والرد عليها.وهذا الجهد الذي قمت به جهد متواضع لذا فإنه يحتاج منا لتضافر الجهود من قبل الحكومات الإسلامية ممثلة في المؤسسات والمراكز العلمية والدعوية فيها لوضع حد للحملات الدعائية ضد الإسلام العظيم والقادمة من الغرب باسم التبشير تارة والاستشراق تارة أخرىٰ، وغير ذلك من المسميات فيقومون برصدها واستيعاب نتاج هذه الحركات ثم نقده نقداً علمياً صحيحاً، ودحض ما يتضمنه من تهافت وزيف.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا ومولانا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين

أهم المصادر والمراجع

١- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره - د/ عمر رضوان - طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض - ط الأولي ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
٢- إتحاف فضلاء البشر للبناء الدمياطي - طبعة : دار الكتب العلمية١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م
٣- الإتقان في علوم القرآن - السيوطي – طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية – ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤- أدلة اليقين في الرد علىٰ مطاعن المبشرين - عبد الرحمن الجزيري – منشورات أسمار – باريس ٢٠٠٧ م.
٥- أضواء علىٰ مصحف عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ورحلته شرقا وغربا " للدكتورة سحر السيد عبد العزيز سالم - طبعة مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩١م.
٦- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة محمد شملول – طبعة دار السلام – القاهرة – ط الأولىٰ ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
٧- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس - الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ - وضع حواشيه وعلق عليه : عبد المنعم خليل إبراهيم.
٨- الأعلام للزركلي - الناشر: دار العلم للملايين - الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٩- الانتصار للقرآن - القاضي الباقلاني – طبعة دار الفتح – الأردن – دراسة حزم – بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
١٠- الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري - المكتبة العصرية – الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١١- إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري - طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٣٩١هـ -/ ٢١٩٧ – تحقيق / محي الدين رمضان.
١٢- البداية والنهاية لابن كثير - الناشر: دار الفكر – طبعة عام : ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

١٣- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبدالفتاح القاضي – طبعة قطاع المعاهد الأزهرية – القاهرة – ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.
١٤- تاريخ القرآن الكريم للدكتور / عبدالصبور شاهين – طبعة دار القلم – ط الأولىٰ سنة ١٩٦٦م.
١٥- تاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي – طبعة مطبعة الفتح بجدة – ١٣٦٥هـ - ١٩٦٤ م.
١٦- تاريخ المصحف الشريف للشيخ عبد الفتاح القاضي – طبعة الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية – ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
١٧- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١٨- تفسير البغوي = (معالم التنزيل) - البغوي - طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض – ط الرابعة ١٩٩٧م.
١٩- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور – طبعة الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤م.
٢٠- تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي – طبعة دار القلم – دمشق - المحقق: الدكتور / أحمد محمد الخراط.
٢١- تفسير الطبري (جامع البيان) - الطبري - طبعة مؤسسة الرسالة ت : أحمد شاكر – ط. الأولىٰ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير - طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. تحقيق / سامي محمد سلامة.
٢٣- تفسير القرطبىٰ (الجامع لأحكام القرآن) – القرطبي - طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٢٤- تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٥- التيسير للحافظ الداني– دار الصحابة للتراث بطنطا – ٢٠٠٢، تعليق : جمال شرف
٢٦- الثقات - ابن حبان - طبعة دار المعارف العثمانية بحيدر أباد – ط. الأولىٰ ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.
٢٧- جامع البيان في القراءات السبع للحافظ الداني - الناشر: جامعة الشارقة – الإمارات - الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٢٨- جزء فيه قراءات النبي – صلىٰ الله عليه وسلم - لحفص بن عمر الدوري أبو عمر - الناشر مكتب الدار – المدينة المنورة – تحقيق د/ حكمت بشير ياسين، ١٩٨٨م.
٢٩- الجلال والجمال رسم الكلمة في القرآن الكريم للدكتور سامح القليني في كتابه - طبعة مكتبة وهبة – القاهرة – حقوق الطبع محفوظة للمؤلف – الطبعة الأولىٰ : ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.
٣٠- جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي – طبعة مكتبة التراث – مكة المكرمة – ط : الأولىٰ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م – تحقيق : د / علىٰ حسين البواب.
٣١- جمع القرآن في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلىٰ العصر الحديث - بحث تكميلي للحصول علىٰ درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن - وكانت مناقشته في كلية الشريعة بجامعة الكويت في شهر شوال من سنة ١٤١٩ هـ - تأليف محمد شرعي أبو زيد
٣٢- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه - طبعة دار الشروق – الطبعة الثالثة – ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق : د/ عبدالعال سالم مكرم.
٣٣- الحجة للقراء السبعة للفارسي – طبعة دار المأمون للتراث – دمشق – ط الثانية ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م، تحقيق / بدر قهوجي – بشير جويجابي.
٣٤- حرز الأماني ووجه التهاني لأبي القاسم بن فيُّده بن خلف بن أحمد الشاطبي ـ ضبط وتصحيح الشيخ/ علي محمد الضباع ـ طبعة/ مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ـ عام (١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٧م).
٣٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني - الناشر: السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م - ثم صورتها عدة دور منها : دار الكتاب العربي – بيروت، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٣٦- خزانه الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي– طبعة مكتبة الخازنجي – القاهرة – ط الرابعة – ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، تحقيق / عبدالسلام هارون.
٣٧- دفاع عن القرآن الكريم أصالة الإعراب ودلالته علىٰ المعانىٰ فىٰ القرآن الكريم واللغة العربية الدكتور / محمد حسن حسن جبل - مكتبة الآداب - القاهرة – ٢٠١١م.

٣٨- دفع المطاعن عن قراءات ابن عامر للدكتور / سامي عبد الفتاح هلال – طبعة دار الصحابة للتراث – طنطا.
٣٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولىٰ ١٤٠٥هـ.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥٠٨
أهمية الموضوع	٥٠٩
أسباب اختيار الموضوع	٥١٢
الدراسات السابقة	٥١٣
نولدكه ورسم المصحف الشريف	٥١٤
المبحث الأول : اتّهام نولدكه وتلاميذه رسم المصحف وأنه شهد تطوراً كبيراً	٥١٧
المبحث الثاني : حديث نولدكه وتلاميذه عن الكلمات المختلفة في الرسم	٥٣٠
الخاتمة	٥٦٦
قائمة بأهم المصادر والمراجع	٥٦٩
فهرس الموضوعات	٥٧٣